سلسلة روايات
ملف المستقبل

سري جدا!!!

٧

جنون طائرة





١ ــ جنون مفاجئ ..

خيّم الصمت على المتفرجين ، وهم يتابعون باهتمام ما يدور على خشبة أحدث دار للأوبرا ، على حين ارتفع صوت الممثلين قويًا وهم يؤدون أعظم أدوارهم فى تلك المسرحية الرائعة ، التى تعرض منذ عشر سنوات بنجاح منقطع النظير .. وما أن أسدل الستار على الفصل الأول حتى ارتفع تصفيق الحاضرين بحرارة وإعجاب ..

التفت النقيب (نور) إلى (سلوى) الجالسة بجواره وقال :

ــ يا لها من مسرحية رائعة !! كنت أتمنى مشاهدتها منذ زمن بعيد .

ابتسمت (سلوى) وقالت :

ــ من العجيب أن يحمل ضابط مخابرات مثلك هذا الإحساس الفنى .

ضحك (رمزى) الذى يجلس بجوار (نور) وقال :

— هذا لأن معلوماتك عن الطب النفسى ضعيفة يا عزيزتى (سلوى) .. أنا شخصيا لا أرى فى ذلك ما يثير العجب .. أليس ضابط المخابرات العلمية بشرًا مثلنا ؟

مال (نور) على أذن (رمزى) وهمس :

— يبدو أن معلوماتك أنت عن المخابرات العلمية ضعيفة أيضًا يا عزيزى (رمزى) .. إنك تتحدَّث وكأنك تريد أن يعلم الجميع أننى ضابط فى المخابرات العلمية !

شعر (رمزى) بالخجل ، فقال هامسًا :

— يبدو أننى نسيت ذلك ، أعتذر أيها القائد .

وهنا قال (محمود) محاولًا تغيير اتجاه الحديث :

— من العجيب يا رفاق أن التطوُّر العلمى قد شمل كل مجالات الفن عدا المسرح ، فما زال كما هو منذ نشأته .

رفع (نور) إصبعه ، وقال :

— من قال هذا ؟ لو أنك تابعت تاريخ المسرح منذ العصور القديمة لوجدت أن التطوُّر العلمى يخدمه باستمرار .. لقد كان بناء المسرح قديمًا يعتمد على أساليب خاصة تساعد على انتشار الصوت ، كالمسرح الدائرى الرومانى الذى يشبه البوق .. ومع اختراع الوسائل الصوتية كمكبرات الصوت ، أصبح هذا البناء غير ضرورى ، وأصبح وصول الصوت سهلًا لجميع الاتجاهات .. ومع تطور وسائل الإضاءة أيضًا بدأ استخدام المؤثرات الضوئية ، وهذا يعد من نقاط التطوُّر العلمى الواضحة فى مجال المسرح .. وفى عصرنا هذا نجد أن الضوئيات المجسَّمة قد أصبحت تمثل ركنًا هامًّا من ديكور المسرح ، كما أمكن بواسطتها صنع ما يسمى الآن باسم (الخدع المسرحية) ، على حين لم يكن ذلك ممكنًا حتى نهايات القرن العشرين .. صحيح أن العلم لم يغيِّر من أسلوب الأداء المسرحى نفسه ؛ لأن هذا هو لبّ المسرح ، ولكنه كما ترى طوَّر الكثير من الأساليب المساعدة له .

ابتسم الجميع حين انتهى (نور) من حديثه ، وقال (محمود) :

ـ إنك واسع الاطلاع أيها القائد ، لا بد أنك تكثر من الجلوس أمام الكمبيوتر الثقافى .

أجابه (نور) مبتسمًا :

ـ إننى أهوى المسرح منذ طفولتى ولقد كنت ....

قاطعه أحد المهتمين بالنظام ، وهو ينحنى على أذنه ويهمس :

ـ هناك سيّد ينتظرك فى الخارج ، يقول إنه قادم من المكتب .

شكر (نور) الرجل ، ثم التفت إلى رفاقه ، وقال وهو يهم بالنهوض :

ـ يبدو يا رفاق أننى لن أجد الوقت الكافى لمشاهدة هذه المسرحية الرائعة .

نظر إليه الجميع بقلق ، فقال وهو ينصرف :

ـ إذا لم أعد قبل نهاية الفصل الأخير ، أرجو أن توافونى فى منزلى .

أومأ الجميع برءُوسهم علامة الموافقة ، دون أن ينبس أحد منهم ببنت شفة ، وأخذت (سلوى) تتابع (نور) ببصرها حتى غادر المسرح ، فالتفتت إلى (رمزى) وقالت :

ـ أعتقد أننا يجب أن نستعد لرحلة جديدة يا رفاق .

عندما وصل (نور) إلى مدخل المسرح وجد فى انتظاره زميله النقيب (سمير) الذى حيّاه بمرح ، وأشار إلى سيارته قائلًا :

ـ سأعيرك سيارتى الصاروخية يا عزيزى (نور) .. لقد سبق أن أخبرتنى أنك تودّ تجربتها .. هيّا سأنتظرك حتى تقوم بدورة كاملة .

ثم غمز بعينه وهو يقول :

ـ لقد أدخلت بضعة تعديلات على جهاز الإطلاق ، زرًّا أزرق إضافيًا .

ركب (نور) السيارة فى صمت ، ثم انطلق بها

بسرعة متوسطة إلى صحارى سيتى ، وسرعان ما لفَّه الصمت فى تلك الصحارى الساكنة .. فأوقف السيارة بهدوء ، ونظر إلى جهاز الإطلاق .. كان بجوار الزِّرِّ الأصفر التقليدى زرّ إضافى أزرق اللون ضغطه (نور) بلا تردد ، فانبعث أزيز متقطع ، وأخذت لوحة السرعة تضىء إضاءة زرقاء خافتة ، ثم اختفت علاماتها ، وظهر محلها وجه القائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

اعتدل (نور) فى جلسته ، وأدّى التحية العسكرية باهتمام بالغ ، وابتسم القائد الأعلى وقال :

ـــ مرحبًا أيها النقيب ، لا بد أنك تشعر بالضيق ؛ لأننا قطعنا مشاهدتك لهذه المسرحية الرائعة ، وأنا أعلم أنك تعشق المسرح .

ابتسم (نور) ابتسامة خفيفة ، وقال :

ـــ المسرحية تستطيع الانتظار يا سيّدى ، ولكن أمن الوطن لا يحتمل ذلك .

اتسعت ابتسامة القائد الأعلى وهو يقول :

ـــ هذا أفضل الاعتماد عليك بالذات أيها النقيب .

ثم اكتست ملامحه بالجدّية وهو يقول :

ـــ أخبرنى أيها النقيب .. ما معلوماتك عن المقاتلة الجديدة (ط ـــ ٧) ؟

كان السؤال مباغتًا ، فصمت (نور) قليلًا ليرتّب أفكاره ، ثم أجاب :

ـــ معلوماتى فى هذا المجال محدودة يا سيّدى ، وكل ما أعرفه هو أنها طراز جديد من الطائرات المقاتلة ، تجرى الاختبارات بسريّة بالغة من أجل زيادة سرعة الطيران وزمن التحليق ، والتسليح الخاص بها ، ولكننى لا أعرف شيئًا عن تفاصيل ذلك .

هزّ القائد الأعلى رأسه باهتمام ، وهو يتابع (نور) ، ثم قال بعد أن استمع إلى كل ما قال :

ـــ هذه الطائرة هى أحدث ما أنتجته قريحة علمائنا أيها النقيب ، وهى من المقاتلات النووية .. ولقد وصلت سرعتها إلى سبعة أمثال سرعة الصوت ، أو

ما يسمى علميًا (ماخ ــ ٧) ، ويمكنها التحليق لمدة ستين ساعة متواصلة دون الحاجة إلى التزوُّد بالوقود ، وبهذه السرعة يمكنها أيضًا اختراق الغلاف الجوِّى ببساطة ؛ لتقاتل الأقمار الصناعية المسلحة بالليزر .. وهذه الطائرة مزوَّدة بمدفعين لإطلاق (أشعة م) ، بالإضافة إلى أربعة صواريخ من نوع الـ (جاما) .. وهى تقوم بمناورات حربية بارعة وحادَّة باستخدام الكمبيوتر فقط ، ودون الحاجة إلى طيار ، ثم إنها ترتفع عموديًا كالطوافات .

صمت القائد الأعلى قليلًا ليبتلع ريقه ، واحترم (نور) هذا الصمت ، وأخذ يفكِّر فى هذه المعلومات الخطيرة التى أخبره بها القائد الأعلى ، وتساءل فى نفسه عما دفع القائد الأعلى إلى إخباره بكل هذه المعلومات ، ولم يطل تساؤله ، إذ تابع القائد الأعلى قوله :

ــ فجر هذا اليوم جرت التجربة الأولى لاختبار المقاتلة (ط ــ ٧) .. كان مقررًا أن تنطلق بسرعتها

القصوى للدوران حول الكرة الأرضية على ارتفاع شاهق ، ومناورة بعض الأهداف الهيكلية وتدميرها ، ثم اختراق الغلاف الجوِّى وتدمير أحد الأقمار الصناعية الاختبارية ، والعودة مرة ثانية إلى قاعدة الإطلاق فى الصحراء الغربية غربى مدينة (بنى سويف) .. ولقد تم وضع خط سير الطائرة بدقة ، حيث تعبُر دائمًا فوق الدول الصديقة أو المحايدة ، بعد الحصول على موافقة هذه الدول بالطبع .

عاد القائد الأعلى يصمت مرة ثانية ، تاركًا (نور) فى لهفة لمعرفة نتائج هذه التجربة ، ثم تابع :

ــ ولكن الذى حدث أن الطائرة بعد مغادرتها قاعدة الإطلاق ، اتخذت فجأة مسارًا مغايرًا ، ولمَّا لم يتمكَّن المسئولون من السيطرة عليها باستخدام التحكُّم الآلى ، تقرر تدميرها بواسطة المفجِّر الاحتياطى ؛ لأن هذا المسار كان سيدفع بها إلى المجال الجوِّى لإحدى الدول المعادية لنا ، ولكن ....

هزَّ القائد الأعلى رأسه بأسى قبل أن يستطرد :

ـ كان من المفروض أن تنفجر الطائرة فور الضغط على المفجِّر الاحتياطى ، ولكن الذى حدث أن الطائرة بدلًا من أن تنفجر أصيبت بالجنون ، فعادت لتطلق صواريخها على القاعدة .. وبرغم المفاجأة الشديدة نجح جهاز الدفاع فى تدمير المقاتلة ، قبل أن تحدث بالقاعدة خسائر فادحة .

كان وجه (نور) يعبِّر عن الدهشة الشديدة وهو يستمع إلى هذه التفاصيل المذهلة ، وأخذ عقله يعمل بسرعة .. كيف يمكن أن تصاب طائرة بالجنون ؟ ما الذى دفعها إلى هذا التصرف العجيب ؟

قطع تساؤلاته صوت القائد الأعلى وهو يقول :

ـ ونحن نظن أن لهذا الحدث العجيب علاقة بالجاسوسية العلمية .. لقد تقدمت وسائل التجسُّس العلمى ، حتى أنه من الصعب أن يتخيَّل المرء هذه الوسائل .. عمومًا سوف تسافر غدًا فى الفجر مع

فريقك إلى قاعدة أبحاث الطيران المسمَّاة باسم (وكر النسور) ، وسأمنحك السلطات الكاملة للتحقيق فى هذا الحادث ، واتخاذ كل الإجراءات التى تراها ضرورية .. إننى أضع فيك ثقة الوطن كله أيها النقيب .

ثم ابتسم وهو يقول :

ـ وأنا واثق أنك أهل لها .

انتهت الرسالة ، فضغط (نور) على الزِّرِّ الأزرق مرة أخرى ، ثم ضغط على الزِّرِّ الأصفر ، وانطلق بالسيارة عائدًا إلى دار الأوبرا ..

ابتسم النقيب (سمير) حينما توقفت السيارة أمام دار الأوبرا ، وقال لـ (نور) وهو يغادرها :

ـ هل أعجبتك سيارتى يا صديقى العزيز ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ نعم ، وبخاصة ذلك الزِّرّ الأزرق الإضافى ، إنه يعطيها إمكانات رائعة .

قال (سمير) وهو يجلس أمام عجلة القيادة :

ـ إنه التطوُّر يا صديقى .

ثم انطلق بالسيارة وهو يشير بيده تحية لـ (نور) ، الذى اتجه إلى داخل الأوبرا ، واتخذ مقعده بجوار (سلوى) ، على حين كان الممثلون يؤدون المشاهد النهائية من الفصل الأخير .. التفتت (سلوى) إليه وهمست بصوت قلق :

ـ هل هناك جديد أيها القائد ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ بالطبع ، أرجو أن تكون حقائبكم معدَّة ، أمامنا رحلة جديدة فى الصباح الباكر .

لاح شبه ابتسامة على وجه (سلوى) ، وهى تستند إلى مقعدها قائلة :

ـ حقائبنا معدَّة دائمًا ، ما دمنا بصحبة النقيب (نور) .

* * *

٢ ـ فى مركز النسور ..

بينما كانت سيارة (نور) الصاروخية تنطلق بسرعتها القصوى ، عَبْرَ الطريق المعلق الذى يربط بين مدن الوجه البحرى ومدن الصعيد ، قالت (سلوى) :

ـ لقد كانت هذه الرحلة تستغرق فى الماضى ساعتين على الأقل كما أخبرنى والدى ، أما الآن ومع اختراع هذه السيارات الصاروخية ، فإنها تستغرق أقل من نصف ساعة .

قال (محمود) باسمًا :

ـ التطوُّر العلمى سريع جدًا يا عزيزتى (سلوى) .

ابتسم (نور) وقال وهو ينحرف بسيارته يمينًا إلى طريق فرعى يعبر الصحراء الغربية :

ـ سنعبر بعد قليل الواحات البحرية يا رفاق ، لنصل إلى (وكر النسور) .. استعدوا .

وبعد حوالى عشر دقائق كانت السيارة تتوقف أمام

بوابة ضخمة .. هبط الجميع من السيارة ، على حين تقدم نحوهم ضابط أمن .. قدم إليه (نور) بطاقاتهم ، فأدّى الرجل التحية العسكرية لـ (نور) وهو يقول باحترام :

ــ مرحبًا بكم فى قاعدة أبحاث الطيران .. أرجو أن تسمحوا لى باتخاذ إجراءات التحقق من الشخصية .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا وهو يدخل غرفة صغيرة ، توقف فى منتصفها هادئًا ، فعبر شريط ضوئى أرجوانى على جسد (نور) بسرعة فائقة ، ثم أضاء لوحة خضراء أمام وجهه ، ثم ابتسم وهو يغادر الغرفة .

كانت وسائل التحقُّق من الشخصية تثير إعجابه دائمًا ، وشاهد (سلوى) تدخل الغرفة ، على حين كان أحد رجال الأمن يدسّ بطاقات أفراد الفريق فى جهاز أسطوانى صغير على التابع .. وبعد لحظات كانت السيارة تعبر البوابة إلى قاعدة أبحاث الطيران .

هبط (نور) من السيارة ، وصافح الرجل الذى

كان يقف فى انتظارهم قائلًا :

ــ النقيب (نور) من المخابرات العلمية .. أعتقد أننى أمام الدكتور (شوقى عبد الحافظ) ، أليس كذلك ؟

ابتسم الدكتور (شوقى) مدير القاعدة ، وقال :

ــ تمامًا أيها النقيب ، كنا فى انتظاركم .. هل هؤلاء الشباب هم أفراد فريقك ؟

قام (نور) بتقديم أفراد فريقه إلى الدكتور (شوقى) الذى استقبلهم بالترحاب ، وقال وهو يتقدمهم إلى الداخل :

ــ لقد أخبرنى القائد الأعلى أنه سيرسل إلىّ بأقوى فريق تابع للإدارة .. صحيح أنكم صغار السن ، ولكننى أثق فى القائد الأعلى .. وما دام يقول إنكم فريق ممتاز ، فلا بد أنكم كذلك .

ابتسمت (سلوى) لهذا الإطراء ، كانت المرة الأولى التى يستقبلهم فيها أحد المسئولين دون أن تبدو فى عينيه

نظرات الشك فى قدرتهم على إنجاز المهمة بنجاح .

تحرَّك الجميع خلف الدكتور (شوق) إلى داخل المبنى الرئيسى ، وبعد لحظات كانوا يجلسون فى غرفة المدير .. وبعد تبادل بعض عبارات المجاملة ، قال (نور) وهو يستند إلى مقعده :

ـ لا بد يا سيّدى أنكم قد قمتم بإجراء تحقيق شامل ودقيق حول هذا الحادث العجيب .

هزَّ الدكتور (شوق) رأسه بأسى ، وقال :

ـ هذا صحيح ولكن ... للأسف لم نصل إلى شىء على الإطلاق .. لو أننا لم نضطر لتدمير المقاتلة (ط ـ ٧) ، لكنا ربما تمكَّنا من فحص برامجها لمعرفة المسئول عن هذا التخريب المتعمَّد .

تبادل أعضاء الفريق النظر ، ثم قال (نور) :

ـ هل تقصد يا سيّدى أن هناك أكثر من عالم يضعون برامج السير للمقاتلة ؟

قال الدكتور (شوق) وهو يهزّ كتفيه :

ـ بالطبع ، وهل تعتقد أن عالمًا واحدًا يستطيع وضع مثل هذه البرامج المعقَّدة ؟ إن خمسة من أعظم علماء مصر فى الآلات الحاسبة والكمبيوتر ، قاموا بوضع برامج المقاتلة (ط ـ ٧) .

سأل (محمود) باهتمام :

ـ ألا يمكن استنتاج شخصية المسئول عن هذا التحوُّل ؟ أقصد من الذى يمكنه التلاعب فى برنامجه بحيث تتخذ الطائرة هذا المسار العجيب ؟

مطَّ الدكتور (شوق) شفتيه ، وقال :

ـ لقد سألنا أنفسنا نفس السؤال أيها الشاب ، وكانت الإجابة أن أى رجل يعرف لغة الكمبيوتر يستطيع فعل ذلك .

كان التساؤل واضحًا فى نظرات (نور) ؛ ولذلك أكمل الدكتور إجابته قائلًا :

ـ برنامج الكمبيوتر أيها النقيب عبارة عن عدة معادلات رياضية معقَّدة ، ولكن خطوة واحدة منها



أكمل الدكتور (شوقى) حديثه قائلاً : برنامج الكمبيوتر أيها النقيب عبارة عن معادلات رياضية .

تكفى لأن تدمر الطائرة نفسها عندما تصلها إشارة خاصة من القاعدة .. وهذه الخطوة تكون عبارة عن أمر موجّه لجهاز الكمبيوتر لكى يتجه إلى الخطوة رقم (س) مثلاً .. فلو أنك أبدلت هذه الخطوة بحيث يتجه الكمبيوتر إلى رقم (ص) على سبيل المثال ، لاتخذت الطائرة إجراءً مخالفًا عند تلقيها للإشارة ، وهذا الإجراء يكون عبارة عن المعلومات الواردة فى الخطوة (ص) .. ولو أن هذه المعلومات كانت خاصة بالقتال ، فإن الطائرة فور تلقيها للإشارة الخاصة بالتدمير الذاتى ستتحوّل إلى القتال بدلاً من ذلك .

صمت (نور) قليلاً ، ثم قال بهدوء :

ـــ هذا يعنى باختصار أن إبدال معادلة واحدة فى برنامج الكمبيوتر ، يكفى لأن تتصرّف الطائرة هذا التصرُّف الجنونى .

قال الدكتور (شوقى) وهو يرفع سبابته :

ـــ بالضبط . وهذا ينطبق أيضا على اتخاذ الطائرة

مسارًا مخالفًا فور انطلاقها .

قال (نور) وهو يقطّب حاجبيه مفكرًا :

ـــ وهذا يعنى أيضًا أن أيًا من العلماء الخمسة كان باستطاعته إبدال هذه الخطوة فى اللحظة الأخيرة .

قطّب الدكتور (شوقى) حاجبيه هو الآخر ، وقال :

ـــ ولكن العجيب أن هؤلاء العلماء الخمسة قد تم اختيارهم بدقة بالغة ، وليس من المقبول منطقيًا أن يكون أحدهم خائنًا .

قال (محمود) وهو يتأمّل رفاقه باهتمام :

ـــ ألا يمكن أن يكون هذا قد تم عن طريق التحكّم الآلى البعيد (الريموت كنترول) مثلًا ؟ هناك بعض أنواع الأشعة مثل الأشعة تحت الحمراء ، يمكنها أن تحمل أوامر التشغيل إلى الكمبيوتر .. وهذا قد يفسّر جنون الطائرة بعد انطلاقها من القاعدة ، وليس قبل ذلك .. أقصد بعد أن أصبحت فى متناول الأشعة .

التفتت (سلوى) إليه ، وقالت :

ـــ لا أوافقك على هذه النظرية يا عزيزى (محمود) ، فاستخدام التحكم الآلى البعيد ، يحتاج إلى إضافة جهاز استقبال خاص للأشعة تحت الحمراء إلى الطائرة ، وهذا بالطبع أكثر صعوبة من إبدال المعادلة .. ولكننى أعتقد ...

ثم صمتت وكأنها تتردّد فى الإفصاح عن رأيها ، فقال (نور) يستحثها :

ـــ ماذا تعتقدين يا (سلوى) ؟

تردّدت (سلوى) قليلًا قبل أن تقول :

ـــ حسنًا . أعتقد أنه من الأسهل وضع برنامج مخالف للمنتظر .. أقصد أن يضع أحد العلماء برنامجًا مخالفًا لما ينبغى عليه وضعه .

ابتسم الدكتور (شوقى) ، وقال :

ـــ هذا مستحيل يا آنستى ، فالبرامج كلها تم مراجعتها قبل إطلاق المقاتلة بدقائق .

تنحنح (رمزى) ، الذى ظل صامتا منذ بداية هذا الحوار ، وقال :

ـ ألا يحتمل أن يكون أحد هؤلاء العلماء من الرافضين لمبدأ الحرب ؟ أعنى أنه قد أبدل المعادلة متعمدا ؛ حتى لا يتم إخراج أحد أسلحة الدمار إلى الوجود .

رفع الدكتور (شوق) حاجبيه دهشًا ، وقال :

ـ لو أنه كذلك ، فلماذا يقبل العمل فى هذا المشروع منذ البداية ؟

قال (رمزى) :

ـ ليجد الفرصة الكافية لإفساد المشروع .. فلو أنه رفض العمل منذ البداية ، لاستعانت القاعدة بعالم آخر .. ولكنه عندما يقبل العمل متظاهرًا بالاقتناع ، فستكون فرصته أحسن فى إفساد العمل .

استند الدكتور (شوق) إلى مكتبه ، وأمسك ذقنه بيده ، وقال :

ـ هل تعلم أيها الشاب ـ برغم غرابة نظريتك ـ

أنك قد دفعت إلى ذهنى باسم واحد من هؤلاء العلماء الخمسة ؟ إنه الدكتور (عادل عطية) .. إنه خبير عالمى فى لغة الكمبيوتر ، وهو فى الوقت نفسه شاب هادئ يكره العنف والدمار .

ثم رفع رأسه ، وقال :

ـ لقد وضعتم كل الاحتمالات ، متجاهلين احتمالًا هامًا وعجيبًا .

التفت إليه الجميع باهتمام ، فتابع قوله :

ـ لقد تجاهلتم احتمال إصابة الطائرة بالجنون فعلًا .

حدّق الجميع فى وجهه بدهشة ، وسأله (نور) :

ـ ماذا تعنى بهذا الاحتمال العجيب يا سيدى ؟

عاد الدكتور (شوق) بمقعده إلى الوراء وهو يقول :

ـ يبدو أنهم لم يخبروك فى إدارة المخابرات العلمية أيها النقيب ، أن أجهزة التحكُّم فى المقاتلة (ط ـ ٧) ، مزوّدة لأول مرة بالخلايا الحيوية الحية .. وأنها من الممكن أن تصاب كالبشر بالـ ... جنون .

* * *

٣ ــ العلماء الخمسة ..

كان الجميع يجلسون فى الغرفة التى خصصت لهم بالقاعدة ، عندما قالت (سلوى) :

ــ هذا أعجب ما سمعت فى حياتى .. طائرة مزوّدة بالخلايا الحيوية الحيّة ؟

قال (نور) وهو يلتفت إليها :

ــ لقد قرأت بحثا فى هذا المجال منذ حوالى شهر واحد ، فى إحدى المجلات العلمية المتخصّصة فى الهندسة الطبية .

قاطعه (نور) بقوله :

ــ لقد قرأت أنا أيضا هذا البحث ، ولكننى لم أتصوّر أن يتم تنفيذ هذا فى عصرنا الحالى .. فالتجارب حول هذا الموضوع قديمة منذ عام ألف وتسعمائة وأربعة وثمانين .. وهى ليست خلايا حيّة بالمعنى الدقيق ، ولكنها نفس المواد الكيميائية الحيوية التى تقوم



بنقل الأوامر من وإلى الخلايا .. ولقد أحرز اليابانيون تقدُّمًا في هذا المجال في أواخر القرن العشرين ، ولكننا سبقناهم مع النهضة العلمية التي شهدتها مصر في بداية القرن الواحد والعشرين .. وإضافة الخلايا الحيوية إلى المقاتلة لا يعني أنها ستصبح آلة حيّة بالمعنى المفهوم ، وإنما هي ستستفيد من سرعة استجابة الخلايا الحيّة التي تفوق الخلايا الكهربائية بآلاف المرات .

التفت (نور) إليه ، وسأله باهتمام :

ـ هل تعني أن الطائرة لا يمكن أن تصاب بالجنون ، كما أخبرنا الدكتور (شوقي) ؟

أجابه (رمزي) بثقة :

ـ هذا مستحيل بالطبع ؛ فالجنون ليس مجرد تغيُّر عضوي في وظائف الخلايا الحيّة .. صحيح أن هذا يشكّل جزءًا منه ، ولكن هذا يكون بالإضافة إلى بعض العوامل النفسية والمعنوية الأخرى .. ولو أن هذه الخلايا الحيّة قد أصيبت ببعض الميكروبات مثلاً لأدى هذا

إلى ضعف استقبالها واستجابتها ، وليس إلى جنونها .. ولا بد أن المختصين في إدارة المخابرات العلمية يعلمون ذلك جيّدًا ، وإلا ما أهملوا إخبارك به .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ هذا صحيح ، فهم لا يهملون حتى أدق التفاصيل مهما بدت تافهة .

ثم أطرق قليلاً ، وعاد يقول وهو ينظر إلى (رمزي) :

ـ ستصحبني يا عزيزي (رمزي) في جولتي لمقابلة العلماء الخمسة ، على حين يقوم (محمود) و (سلوى) بزيارة مركز الإطلاق وغرفة التحكُّم ، وسنلتقي جميعًا في هذه الغرفة بعد انتهاء جولاتنا ، لنتباحث فيما توصلنا إليه .

بعد لحظات من هذا الحديث وأمام غرفة الدكتور (عادل عطية) ، التفت (نور) إلى (رمزي) ، وقال :

— انتبه جيدًا يا عزيزى (رمزى) لكل كلمة وكل حركة .. أريد منك تقريرًا شاملًا عن الإيقاع النفسى لكل من العلماء الخمسة بعد انتهاء هذه الجولة .

أومأ (رمزى) برأسه علامة الإيجاب ، على حين طرق (نور) باب الغرفة .. جاءهما من الداخل صوت هادئ يدعوهما للدخول .. دخل الاثنان بهدوء إلى الغرفة ، كان الدكتور (عادل عطية) يجلس أمام جهاز كمبيوتر حديث ، واستقبلهما بابتسامة رقيقة ، ودعاهما للجلوس قبل أن يتعرّف عليهما .

أخذ (رمزى) يتأمل الدكتور (عادل) باهتمام ، كان شابًا هادئًا يرتدى نظارة طبية ، أبيض الوجه ، وسيم الملامح ، تقلّصت مساحة الشعر الذى يغطى رأسه ، فأعطته مظهرًا وقورًا ، طويل القامة ، هادئ النبرات .

قال (نور) مقدمًا نفسه إلى الدكتور (عادل) :

— النقيب (نور) من إدارة المخابرات العلمية ..

وهذا رفيقى الدكتور (رمزى) ، طبيب متخصص فى الطب الـ .....

قاطعه الدكتور (عادل) بضيق قائلًا :

— لقد أتيتما للتحقيق فى حادث المقاتلة ، أليس كذلك ؟ كنت أتوقع هذا النوع من المضايقات .

ابتسم (نور) ، وقال :

— لن نضايقك كثيرًا يا سيدى . نحتاج فقط إلى بعض المعلومات حول برنامج الطائرة .

أشار الدكتور (عادل) إلى جهاز الكمبيوتر الموضوع أمامه ، وقال :

— ربما استطاع الدكتور (أحمد صبرى) إفادتكما بصورة أفضل .. فأنا أضع فقط البرنامج الخاص بخط السير . أما هو فيضع البرنامج القتالى .

قال (نور) وهو يقاطعه بلهجة جافة :

— لا تنس أن الطائرة قد اتخذت مسارًا مخالفًا فور انطلاقها يا دكتور (عادل) .


قال الدكتور (عادل) غاضبا : لقد وضعت برنامجا سليما

قطَّب الدكتور (عادل) حاجبيه ، وقال غاضبا :

ــ لقد وضعت برنامجًا سليمًا ، وتمت مراجعته بدقة ، ولا مجال للشك فى كفاءته .. ربما كان المسئولون فى غرفة التحكُّم الآلى لا يجيدون استخدام أجهزتهم .

قال (نور) وهو يرسم على وجهه ابتسامة ، ويحاول أن يصبغ نبراته بالودّ :

ــ لم آت لاتهامك يا دكتور ، وإنما لاستشارتك .

ابتسم الدكتور (عادل) ، وقال بلهجة متشككة :

ــ هل تتلاعب بى أيها الشاب ؟

أجابه (نور) بلهجة جادّة :

ــ ولماذا ؟ لقد أتيت حقًّا لاستشارتك .. من يمكنه إفادتى عندما أبحث عن برامج الكمبيوتر ، سوى عالم عظيم مثلك يا دكتور (عادل) ؟

ابتسم الدكتور (عادل) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ لن يفيد هذا الرياء معى أيها النقيب .. فما أنا إلا واحد من خمسة علماء ، يجيدون التعامل مع أجهزة الكمبيوتر فى هذه القاعدة .

قال (نور) ، وقد شعر بالضيق لضياع الوقت في هذه المحاورات :

— حسنا ، سأسألك سؤالا مباشرا : هل تعتقد أنه من السهل العبث ببرنامج الكمبيوتر بعد وضعه ؟

قطب الدكتور (عادل) حاجبيه مفكرًا ، على حين ساد الصمت تمامًا في الغرفة حتى قال :

— نعم : أعتقد أن هذا ممكن ، بإضافة معادلة واحدة زائدة إلى البرنامج ، أو حذف معادلة أخرى .

ثم مال على جهاز الكمبيوتر ، وضغط عدة أزرار وهو يقول :

— سأخبرك بالضبط بالمعادلة التي يمكن حذفها ، فيتغير مسار الطائرة تمامًا .

قاطعه (نور) وهو يشير بيده نفيًا :

— لا أريد معرفة المعادلة يا سيدى ، ولن يفيدنى معرفتها ،ولكننى أسأل إذا كان ذلك ممكنا .

اعتدل الدكتور (عادل) في مقعده ، وقال وهو يخلع نظارته :

— الإجابة هي نعم أيها النقيب ، إن ذلك ممكن جدا .

قال (نور) وهو يهم بالنهوض :

— سؤال أخير : هل تكره الحروب والدمار فعلاً كما سمعت ؟

وضع الدكتور (عادل) نظارته على عينيه مرة أخرى . وأجاب وهو يتأمل (نور) :

— نعم أيها النقيب : هذا صحيح .

عاد (نور) يسأله :

— لماذا إذن وافقت على العمل في مشروع اختراع طائرة مدمّرة ؟

ابتسم الدكتور (عادل) ، وقال :

— سؤال خبيث أيها النقيب ، ولكن إجابته بسيطة للغاية .. لو أننا لم نصنع هذه المقاتلات الشديدة التدمير أيها الشاب ، لأصبح وطننا هدفا للمعتدين .. تصوّر أنت رجلين يحمل كل منهما مسدسًا للبِرّ ويقفان

وجهًا لوجه .. هل تعتقد أن أحدًا منهما سيخاطر بمحاولة إطلاق مسدسه على الآخر ؟ مستحيل .. ولكنك لو نزعت مسدس أحدهما ، أو أبدلت بسلاح الآخر سلاحًا أقوى ، لراودته فكرة تدمير غريمه .. هكذا العالم يا صديقى . الأسلوب الأمثل لنشر السلام به هو أن تجعل كل الدول قوية ، وهكذا تخشى كل منها إشعال الحرب مع الأخرى .

ابتسم (نور) وقال قبل أن يغادر الغرفة :

ـــ منطق رائع أيها العالم ، ليت الجميع يؤمنون به .

وما أن غادر (نور) و (رمزى) غرفة الدكتور (عادل) ، حتى التفت (نور) إلى رفيقه وسأله :

ـــ ما رأيك ؟

أجاب (رمزى) بعد فترة من التفكير :

ـــ إنه كمعظم العلماء ، يحب العمل منفردًا ، وهو يثق بعمله جدًا ، ولا يحب أن يتدخل الآخرون فيه .. وهو ذكى بالطبع ، ولكن كراهيته للحروب ليست

واضحة بالدرجة التى تصوَّرتها قبل مقابلته .

سأله (نور) :

ـــ وهذا الرأى الذى أخبرنا به ، حول توازن القوى فى العالم وعلاقة ذلك بالسلام .. ألا يمكن أن يدفعه هذا إلى تغيير مسار الطائرة ؟ فلو أنها أكملت هذا المسار الذى اتخذته ، لوصلت إلى أشد الدول معاداة لنا .. وهذا يحقق توازن القوى الذى يؤمن به الدكتور (عادل عطية) .

هزَّ (رمزى) رأسه ، وقال :

ـــ هذا محتمل ، ولكن لماذا يدفع الطائرة لمقاتلة القاعدة ، ما دام يكره التدمير كما يدَّعى .

قطَّب (نور) حاجبيه ، وقال :

ـــ هذا لو كان يكرهه فعلاً .

ثم التفت إلى (رمزى) ، وقال :

ـــ حسنًا ، سنتوجه الآن لزيارة الدكتور (صفوت عبيد) ، لعلنا نصل إلى جديد .

بعد عدة دقائق وفى غرفة الدكتور (صفوت) ، الذى استقبلهما بنوع من الضيق ، قال (نور) :

ـ لقد حضرنا إلى هنا لاستشارتك ، بشأن ما حدث للمقاتلة (ط ـ ٧) يا دكتور (صفوت) .

أدار الدكتور (صفوت) رأسه بعيدا ، وقال بضيق واضح :

ـ لاستشارتى أم لاستجوابى أيها النقيب ؟

تجاهل (نور) عبارة الدكتور (صفوت) ، وقال :

ـ كيف تفسّر ما حدث للطائرة يا سيدى ؟

خيم الصمت على الغرفة الصغيرة ، على حين أخذ (رمزى) يتأمل الدكتور (صفوت) باهتمام .. كان ضخم الجثة ، أصلع الرأس ، كثيف الحاجبين .. وكان يعبث بأزرار الكمبيوتر الموضوع أمامه باستمرار .. وبعد فترة طويلة من الصمت أجاب :

ـ أعتقد أن أحدهم أبدل برنامج المقاتلة أيها النقيب .

سأله (نور) :

ـ ومن فعل هذا فى اعتقادك ؟ أقصد من يمكنه إبدال البرنامج ؟

ابتسم الدكتور (صفوت) بسخرية وهو يقول :

ـ هذه مهمتكم أنتم .. كيف يمكننى الإجابة عن هذا السؤال ؟

كان من الواضح أنه يرفض التعاون تماما ؛ فسأله (نور) سؤالا أخيرًا قبل أن ينصرف :

ـ أى البرامج تضع يا دكتور (صفوت) ؟

أجابه الدكتور (صفوت) ، دون أن يلتفت إليه :

ـ برنامج الجمع الرئيسى أيها النقيب ، الذى يربط باقى البرامج بعضها ببعض .

غادر (نور) و (رمزى) الغرفة وهما يشعران بالضيق ، وسأل (نور) رفيقه عن رأيه فى الدكتور (صفوت) فأجابه :

ـ إنه رجل مغرور ، يكره أن يتعامل مع مَنْ يعتقد

أنهم أقل منه ذكاء ، وهو يشعر أنه أهم من الجميع ؛ لأنه يضع البرنامج الرئيسى الذى يربط برامجهم كلها .

قال (نور) وهو يفكّر بعمق :

ـ وهذا يجعله أكثرهم قدرة على إبدال البرامج .. حسنًا ، فلنقم بجولتنا التالية .

كانت الجولة التالية فى غرفة الدكتور (عمر عبد الله) ، وهو رجل فى العقد الرابع من العمر ، أحمر الوجه حاد النظرات ، خشن الصوت ، استقبلهما ببرود ، ثم انهمك مع جهاز الكمبيوتر فى معادلات معقّدة ..

وبعد فترة من الصمت سأله (نور) :

ـ ما البرنامج الذى تضعه يا دكتور (عمر) ؟

أجابه الدكتور (عمر) ، دون أن يرفع وجهه عن الكمبيوتر :

ـ برنامج الفضاء أيها الشاب .

رفع (نور) حاجبيه دهشًا ، وقال :

ـ كنت أظن أن هذا يتبع خط السير الخاص بالمقاتلة .

ابتسم الدكتور (عمر) ، وقال دون أن يترك العمل :

ـ هذا لأن معلوماتك العلمية ناقصة أيها الشاب .. الطيران فى الفضاء يختلف تمامًا عن الطيران فوق سطح الأرض .. لو أن هذه المقاتلة انطلقت بسرعتها البالغة (٧ ماخ) فى الفضاء الخارجى ، لوجدت نفسها تقاتل على سطح (المريخ) أو (نبتون) .. فالسرعة تتضاعف فى الفضاء الخارجى أكثر من عشرين مرة لاختفاء المقاومة تقريبًا .

تبادل (نور) النظر مع (رمزى) ، ثم قال :

ـ ما رأيك فيما حدث للطائرة (ط ـ ٧) يا دكتور (عمر) ؟

ترك الدكتور (عمر) الكمبيوتر ، والتفت إلى (نور) قائلًا :

— ليس لدىّ أية معلومات أيها الشاب ، ولم أكوّن فكرة واضحة بعد .

سأله (نور) :

— هل من الممكن أن يقوم أحد بإبدال معادلة من معادلات البرنامج ؟

عاد الدكتور (عمر) إلى عمله ، وقال بلهجة جافة :

— محتمل ، لا أستطيع الجزم بذلك .

غادر (نور) و (رمزى) الغرفة بعد هذه العبارة مباشرة ، وقال (رمزى) وهما بالخارج :

— إنه رجل بسيط ، برغم هذا الأسلوب الجاف .. فهو ليس من النوع الذى يقدم على ارتكاب مثل هذا العمل .. هذا تحليل الأوّلىّ بالطبع .

ابتسم (نور) وقال :

— ما دام رأى كل منا يتفق مع الآخر ، فسأستبعده تمامًا من قائمة المشتبه فيهم .. هيا بنا ، ما زال أمامنا رجلان .

كان اللقاء الرابع مع الدكتور (أحمد صبرى) وهو شاب قصير القامة نسبيًا ، له شعر أكرت قصير ولحية مهذّبة .. استقبلهما بالترحاب ، وأجاب عن أسئلتهم ببساطة ، وسأله (نور) :

— علمت من الدكتور (عادل عطية) ، أنك تعد البرنامج القتالى للطائرة (ط — ٧) ، فما رأيك فيما حدث لها ؟

مطّ الدكتور (أحمد) شفتيه ، وقال :

— أمر عجيب !! ليس من السهل تفسيره ، وإن كنت أعتقد أن أحدًا قد قام بإبدال برنامج الكمبيوتر .

شكره (نور) وغادر المكان ، وفى الخارج قال (رمزى) :

— هذا الرجل ليس سهلاً .. إن أسلوبه يذكرنى بنعومة الثعبان .

سأله (نور) :

— هل تعتقد أنه من النوع الذى يقدم على مثل هذا العمل ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه ، وقال :

ــ لا أستبعد هذا مطلقًا .

هزَّ (نور) رأسه ، وقال :

ــ حسنًا ، بقى أمامنا واحد فقط ، الدكتور (فوزى عطاالله) .. وهو أكبرهم سنًّا .

بعد دقائق كان يجلسان مع الدكتور (فوزى) ، الذى استقبلهما بهدوء .. كان رجلاً بسيطًا فى العقد السادس من العمر ، يتكلم ببساطة وهدوء العالِم . وقد أكسبه تقدُّم السن رزانة وحكمة .. سأله (نور) عن رأيه فيما حدث ، فأجابه ببساطة :

ــ لا أستطيع الجزم بالسبب يا بنىّ ، ولا أعتقد أنه سيكون بسيطًا أو واضحًا .. فهذا الحادث يذكّرنى ببداية عملى فى الكمبيوتر .. كنت أظل طويلاً أعمل فى برنامج ما ، وأنا أظن أن خطواتى تسير فى الاتجاه الصحيح ، وفجأة يتبيَّن لى أن المعادلة الأولى فى البرنامج خاطئة .. ولهذا اعتدت ألا أنتقل إلى خطوة قبل أن أتأكد من الخطوة السابقة لها .

كان اللقاء بسيطًا هادئًا ، أعاد الهدوء إلى (رمزى) و (نور) ، فغادرا المكان بمعنويات مرتفعة ..

وقبل أن يتحدث (رمزى) أشار إليه (نور) مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ لا تخبرنى بأى شىء ، لقد قررت استبعاده من قائمة المشتبه فيهم .

* * *



٤ ـــ مفاجأة الخلايا الحيوية ..

قالت (سلوى) وهى تتجه بصحبة (محمود) إلى مركز الإطلاق :

ـــ هل تعتقد أننا سنجد ما يثير الانتباه فى مركز الإطلاق يا (محمود) ؟

أجابها (محمود) مبتسمًا :

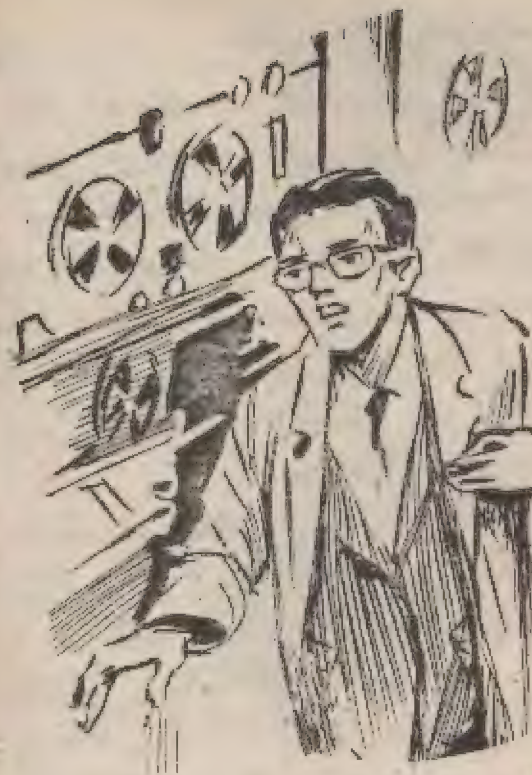
ـــ الله أعلم . لا تتعجَّلى الأمور ..

أوقفهما رجل الأمن لحظات ، ثم سمح لهما بدخول المركز ، بعد أن تأكد من شخصيتهما .. أخذت (سلوى) تتطلَّع إلى الأجهزة المنتشرة ، والرجال الذين يعملون عليها بهمَّة ونشاط ، ثم قالت لـ (محمود) :

ـــ أعتقد أننا يجب أن نتوجَّه إلى المسئول عن إطلاق الطائرة .. فهو الرجل الوحيد الذى يهمّنا هنا .

أجابها (محمود) وهو يتلفَّت حوله باهتمام :

ـــ أعتقد أننا سنكسب بعض الوقت ، لو أن كلًّا



منا قام بعمل ما .. سأتوجه أنا إلى غرفة التحكُّم الآلى ، حيث أن كل الأعمال هناك تعتمد على استخدامات الأشعة بأنواعها ، وهذا مجالى بالطبع .. أما أنتِ فعليك بالتحرِّى هنا فى مركز الإطلاق ، فأنا أرى أن كل الأجهزة حولنا تعمل إليكترونيًا . وأنتِ خبيرة بالاتصالات والتتبع ، وهذا ....

قاطعته (سلوى) قائلة :

ــ حسنًا ، اذهب إلى غرفة التحكُّم .. سأثبت لكم أننى أكثر كفاءة من الرجال .

ضحك (محمود) ، وقال وهو يغادر المكان :

ــ رائع يا زميلى العزيز !! أقصد يا زميلتى العزيزة .

تمتمت (سلوى) ببضع كلمات غاضبة حتى غادر (محمود) مركز الإطلاق ، فاتجهت إلى أقرب الرجال بجوارها وسألته :

ــ معذرة ، هل لك أن تخبرنى من المسئول عن إطلاق المقاتلة (ط ــ ٧) ؟

تأملها الرجل بصمت ثم سألها :

ــ هل أنت واحدة من الفريق الذى يحقق فى هذا الحادث العجيب ؟

قطَّبت (سلوى) حاجبيها .. كانت الأخبار تنتشر بسرعة فى مركز (وكر النسور) هذا .. ولكنها أومأت برأسها علامة الإيجاب ، فابتسم وقال :

ــ مرحبًا بكم .

ثم أشار إلى رجل طويل القامة ، يقف أمام شاشة صغيرة ، بها عدد كبير من الأزرار ، وقال :

ــ هذا الرجل هو المسئول عن إطلاق المقاتلة (ط ــ ٧) ، اسمه (حمدى عبد الفتاح) .

شكرت (سلوى) الرجل واتجهت إلى (حمدى) ، ولكنها سمعت صوت الرجل يتمتم خلفها :

ــ يرسلون فريقًا من الفتيات للتحقيق فى الحادث ! .. يا لها من مهزلة !!

ودَّت (سلوى) لو أنها عادت وصفعته على

وجهه ، ولكنها كتمت غيظها ، وتوجهت إلى (حمدى) الذى استقبلها باستخفاف ، وقال :

ـ نعم يا فتاتى ، أنا المسئول عن إطلاق المقاتلة (ط ـ ٧) ، هل تطلبين توقيعى ؟

بذلت (سلوى) مجهودًا خارقًا للسيطرة على أعصابها ، وتجاهلت قول (حمدى) وسألته :

ـ هل كان الإطلاق طبيعيًا ؟ أعنى ألم يقابلك شىء عجيب ؟

ابتسم (حمدى) ساخرًا ، وقال :

ـ طبيعى جدًا .. كانت زاوية الإطلاق ٤٠° ، وتردد الأجهزة ٦١٢ سيكل/دقيقة ، والإيقاع الإليكترونى ١٦ ميكروتون/ثانية .. هل تفهمين شيئًا يا فتاتى ؟

حدقت (سلوى) فى وجهه ببرود ، وقالت بتحد :

ـ أنت مخطئ أيها المغرور ، فزاوية الإطلاق هنا صفر ، لأن الطائرة (ط ـ ٧) ترتفع عموديًا .. ثم إن

تردد الأجهزة لا يمكن أن يرتفع فى هذه الحالة عن ٣١٨ سيكل/دقيقة ، وإلا عجزت المقاتلة عن تلقى إشارات التحكم الآلى .. كما أن الإيقاع الإليكترونى لمثل هذه المقاتلة يكون حوالى ٩٠ ميكروتون/ثانية .. هل تفهم لماذا ؟

وقف (حمدى) يحدق فى وجهها ، وقد عبرت كل خلجة من خلجاته عن الدهشة الشديدة ، وتمكن بعد فترة من الصمت أن يقول :

ـ لقد كنت أظن أنك مجرد شرطية ، هذا مدهش .

تجاهلت (سلوى) عبارته ، وإن منحتها بعض الثقة والراحة ، وعادت تسأله :

ـ هل كان الإطلاق طبيعيًا يا ..... يا سيد (حمدى) ؟

ازدرد (حمدى) ريقه ، وقال :

ـ نعم ، أعتقد ذلك .. نستطيع أن نقول إنه كان طبيعيًا تقريبًا .

رفعت (سلوى) حاجبيها دهشة ، وقالت :

ــ ماذا تعنى بأنك تعتقد ذلك ؟ ولماذا تقريبًا ؟ أكان الإطلاق طبيعيًا أم لا ؟

تردَّد (حمدى) قليلًا ثم قال :

ــ فى البداية كان الإطلاق طبيعيًا ، ثم .....

قالت (سلوى) تستحثه على المواصلة :

ــ ثم ماذا ؟

قال (حمدى) بعد فترة من التردُّد :

ــ ثم حدث شىء ما ، لا أستطيع الجزم به ، وكأن الطائرة تعارض الأوامر .. لقد ظننت فى البداية أن أجهزة غرفة التحكُّم قد أصيبت بالخلل مرة أخرى ، ولكننى فوجئت أن هذه المقاتلة قد أصيبت بالجنون .

هزَّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وقالت :

ــ الطائرات حتى لو أضيفت إليها خلايا حيويَّة ، فهى مجرد آلات لا تصاب أبدًا بالجنون .

أشاح (حمدى) بذراعه ، وقال :

ــ معلوماتك عن الخلايا الحيوية قاصرة أيتها الفتاة .

ابتسمت (سلوى) ، وقالت :

ــ هل عدنا مرة ثانية إلى استعراض المعلومات ؟

أشار (حمدى) إلى مكعب معدنى صغير أحمر اللون ، موضوع على المنضدة المقابلة ، وقال :

ــ حسنًا ، لن نعود إلى ذلك .. التقطى هذا المكعب الأحمر .

مدَّت (سلوى) يدها لتلتقط المكعب ، ولكنها تسمَّرت وبدت الدهشة على وجهها ، عندما ابتعد المكعب عن متناول يدها ، قطَّبت حاجبيها ، وحاولت بعناد التقاط المكعب الذى واصل الابتعاد والمناورة ..

أبعدت (سلوى) يدها أخيرًا بيأس ، وقالت بدهشة :

ــ هذا أعجب ما رأيت فى حياتى ، إنه يبدو وكأنه .... وكأنه ....

ابتسم (حمدى) وهو يقول :

ــ وكأنه حىّ أليس كذلك ؟ هل رأيت كم هو



مدت (سلوى) يدها تلتقط المكعب ، ولكنها تسمّرت من الدهشة

مذهل ؟ برغم أنه لا يتعدى كونه آلة بسيطة لقياس التغيُّر الحرارى ، وهى مزوّدة بالخلايا الحيوية التى تتأثر بحرارة الجسم البشرى .. هذه أيتها العبقرية تجربة بسيطة ، تؤكد قدرة الآلات المزوّدة بالخلايا الحيوية .

عادت ملامح (سلوى) تكتسى بالعناد ، وهى تهم بمغادرة المكان .. ودّعها (حمدى) بإعجاب ، واتجهت إلى خارج المكان .. وقبل أن تجتاز الباب توقفت فجأة وكأنها تذكرت شيئًا ما ، والتفتت إلى (حمدى) تسـألُه :

ــ لحظة ... لقد أخبرتنى أن آلات غرفة التحكُّم قد أصابها الخلل ذات مرة ، متى كان ذلك بالضبط ؟

أطرق (حمدى) لحظة ثم قال :

ــ قبل إطلاق المقاتلة بعشر ساعات تقريبًا .

فور سماعها هذه الإجابة ، أسرعت (سلوى) إلى غرفة التحكُّم الآلى ، وهى تقول لنفسها :

ــ يا له من خبر !! لا بد أن لهذا دلالة خاصة ..

لا بد أن أخبر (محمود) بذلك فى الحال .

فى نفس الوقت كان (محمود) يقف أمام (عصمت خالد) ، المهندس المسئول عن غرفة التحكُّم .. كان يقول لـ (عصمت) :

ــ هل تقصد أن الطائرة رفضت إطاعة أوامر غرفة التحكُّم ؟

هزَّ (عصمت) رأسه ، وقال :

ــ بالضبط ، كما سبق أن أخبرتك ، بعد إنطلاق المقاتلة ضغطت على زرّ توجيه المسار ، ولكنها لم تستجب له إطلاقًا ، بل اتخذت مسارًا مخالفًا .. وعندما ضغطت على زرّ التدمير الذاتى ، فوجئت بها تعود لتقاتل القاعدة .. لم أصدق وقتها أن طائرة تصاب بالجنون .

قال (محمود) باسمًا :

ــ الطائرات لا تصـــاب بالجنـــون يا ســـيِّــد (عصمت) .

قال (عصمت) بلهجة واثقة :

ــ ليس عندما تكون مزوَّدة بالخلايا الحيوية ، ولو أنك ....

قاطعه صوت هادئ يقول :

ــ أأصيبت أجهـزتك بأعطـال أخـرى يا عزيزى (عصمت) ، أم أن هذا حوار سلمى ؟

التفت (محمود) إلى مصدر الصوت ، كان يقف شاب وسيم ، هادئ الملامح ، أسمر البشرة طويل القامة ، مبتسم .. قدَّم نفسه إلى (محمود) قائلًا :

ــ المهندس (جمال سليمان) خبير الأعطال .

ضحك (عصمت) وقال :

ــ سبعة شهور فى هذا العمل ، وتطلق على نفسك خبير الأعطال .

ابتسم (جمال) وقال :

ــ سبعة شهور مملوءة بالعمل يا صديقى ، تصنع من العصفور نسرًا جارحًا .

قاطعه (محمود) باهتمام :

ـ هل أصيبت هذه الأجهزة بالعطل قبل إطلاق المقاتلة ؟

قطّب (جمال) حاجبيه ، وقال :

ـ نعم . قبل الإطلاق بعشر ساعات تقريبًا .. ولسبب غير مفهوم .

استدار (محمود) إلى (عصمت) وسأله :

ـ لماذا لم تخبرنى بذلك يا سيد (عصمت) ؟

تحاشى (عصمت) النظر فى وجه (محمود) وهو يقول :

ـ لم أعتقد أن ذلك أمر مهم إلى هذه الدرجة .. لقد قام (جمال) بإصلاحها فى الحال .

قال (محمود) بحدّة :

ـ ألا يحتمل أن تكون قد أصيبت بالعطل فى أثناء الإطلاق ؟

ابتسم (جمال) وقال وهو يربّت على كتف (محمود) مهدئًا :

ـ لقد فكرنا فى هذا أيها الشاب . ولقد قمت بفحصها جيدًا بعد حادث الإطلاق العجيب .. وأستطيع أن أجزم أنها كانت تعمل بكفاءة فى أثناء تجربة الإطلاق .

سأل (محمود) باهتمام :

ـ هل تستطيع أن تحدد سبب العطل بالضبط يا سيد (جمال) ؟

قطّب (جمال) حاجبيه مفكرًا ، ثم قال بعد فترة من الصمت :

ـ لم يكن هذا العطل طبيعيًا .. أقصد لا يمكن حدوثه إلا بتدخل خارجى .. هذا ما أعتقد بالطبع ولكننى لا أجزم بشىء ما .

التفت (محمود) إلى (عصمت) ، الذى أخذ يتظاهر بانهماكه فى العمل .. أخذ يتأمل أصابعه المرتبكة ، ثم التفت إلى (جمال) وسأله :

ـ ما الذى حدث بالضبط يوم الإطلاق يا سيد (جمال) ؟

هزَّ (جمال) رأسه وقال :

ـ لا أستطيع إفادتك فى هذا الأمر يا سيدى .. لقد كنت أعمل على إصلاح أجهزة تهوية المخابئ ، على عمق مائتى قدم تحت سطح الأرض عندما تمت تجربة المقاتلة . ولكن المهندس (عصمت) يستطيع إخبارك بكل ما حدث . لقد كان هنا وحده .. أنت تعلم بالطبع أن هذه الأجهزة الحديثة لا تحتاج لأكثر من رجل واحد لتشغيلها .

قال (محمود) وهو يتأمل (عصمت) بطرف خفىّ :

ـ نعم ، رجل واحد .

وفى هذه اللحظة دخلت (سلوى) ، واتجهت من فورها إلى (محمود) ، وقالت :

ـ (محمود) ، هل تعلم أن أجهزة التحكُّم قد أصيبت بالعطل قبل إطلاق المقاتلة ؟

نظر (محمود) إلى (جمال) ، ثم انفجرا ضاحكين .

* * *

٥ ـ مفاجأة فى التحقيق ..

اجتمع أفراد الفريق فى غرفتهم ، يتبادلون المعلومات التى حصلوا عليها من جولاتهم فى القاعدة .. وبعد أن انتهى كل منهم من سرد ما عنده ، خيَّم الصمت على الغرفة ، حتى قطعه (نور) بقوله :

ـ إذن فقائمتنا تضم عددا كبيرًا من المشتبه فيهم : ثلاثة من العلماء ، وثلاثة من المهندسين .

قال (رمزى) باستغراب :

ـ هل تعتبر المهندسين الثلاثة من المشتبه فيهم ؟

قال (نور) بابتسامة غامضة :

ـ ألا تعتقد أن كلًّا منهم كان يستطيع فعل ذلك ؟

قطَّب (رمزى) حاجبيه محاولًا تركيز تفكيره ، على حين قالت (سلوى) :

ـ الوحيد الذى يمكن أن تحوم حوله الشبهات ، هو المهندس (عصمت) ، بحسب رواية (محمود) .

أشار (نور) بسبابته وهو يقول :

ـــ لقد سبق أن أخبرنا (محمود) أن شخصًا يستطيع التحكُّم فى الصاروخ عن طريق الإشعاع .. ألا تعتقدون أن (جمال) يمكنه ذلك وهو يجلس وحيدًا فى الخابئ ؟

ابتسم (محمود) وقال :

ـــ هذا مستحيل أيها القائد ، فهذه الخابئ مجهَّزة بحيث تتحمَّل هجومًا بالقنابل النيترونية .. ولذلك فجدرانها تمنع تسرُّب الإشعاع إلى الداخل ، وبالتالى فهى تمنعه من التسرُّب إلى الخارج .. والذى يجلس بداخل هذه الخابئ يصبح معزولًا تمامًا عن الخارج .

ضحكت (سلوى) وقالت :

ـــ هذا مدهش ، لقد أخطأ النقيب (نور) لأول مرة .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ لم أجزم بالحل بعد يا عزيزتى (سلوى) ، وإنما أنا

أضع احتمالات الموقف مهما بدت عجيبة ، المهم أن تكون منطقية .

قالت (سلوى) بخبث :

ـــ طبعًا ، طبعًا .. فعندما يضع النقيب (نور) حلًا لا بد أن يكون منطقيًا وسليمًا .

ضحك (نور) والتفت إلى (محمود) قائلًا :

ـــ هل انتهيت إلى أن نظرية التحكُّم بالإشعاع غير ممكنة ؟

رفع (محمود) كتفيه وأرخاهما ، ثم قال :

ـــ لا يمكننى الجزم بأنها غير ممكنة ، ولكن هذا يحتاج إلى تجربة .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا وقال :

ـــ ليس هذا ممكنًا .. من المستحيل أن أطلب من الدكتور (شوقى) أن يغامر بإطلاق طائرة جديدة ، قبل التوصل إلى السبب فى هذا الجنون الذى أصاب الطائرة الأولى .

قال (رمزى) :

ـ ما رأيكم لو نفذنا هذه التجربة ، مع استغلال العامل النفسى ؟

التفت إليه الجميع باهتمام ، وسأله (نور) :

ـ ماذا تعنى باستغلال العامل النفسى يا (رمزى) ؟

اعتدل (رمزى) فى مقعده وقال باسمًا :

ـ أعنى أن نطلق طائرة هيكلية مزوَّدة ببرنامج محدود ، وقذائف مزيفة فارغة ، ونتظاهر أنها هى الأخرى أصيبت بالجنون .

مطَّ (محمود) شفتيه وقال :

ـ وأين العامل النفسى هنا ؟

مال (رمزى) إلى الأمام وقال :

ـ سيظهر العامل النفسى عندما تصاب الطائرة الجديدة بالجنون المزيف .. فالمسئول عن فشل التجربة الأولى هو الوحيد الذى سيرفض تصديق ذلك تمامًا !

لأنه الوحيد الذى يعلم تمامًا أن الطائرات لا تصاب بالجنون .

بعد فترة من الصمت قال (نور) :

ـ فكرة رائعة يا عزيزى (رمزى) .. ولكن هذا يحتاج إلى معاونة واحد من علماء الكمبيوتر ، وموافقة الدكتور (شوق) .

قال (محمود) :

ـ أعتقد أن الدكتور (فوزى عطا الله) خير من يعاوننا فى هذا الأمر .. ولا أعتقد أن الدكتور (شوق) سيرفض هذا .

قال (نور) وهو يفكِّر بعمق :

ـ هذا يتوقف على قدرتنا على إقناعه ، ربما لو ...

قاطعهم أزيز آلة التليفيديو .. اتجه (نور) إليها وضغط على زرّ صغير ، فظهرت على الشاشة صورة

الدكتور (فوزى) بوقاره الهادئ .. وابتسم (نور) وقال له :

ــ لا بد أنك تقرأ أفكارنا يا سيدى .. لقد كنا نتحدث عنك فى التوّ واللحظة .

قاطعه الدكتور (فوزى) وهو بادى الجدّية :

ــ لقد سبق أن تناقشنا أيها النقيب ، حول إمكانية إبدال أحد معادلات برنامج الكمبيوتر ، وأخبرتك أن هذا ممكـــن ، لو توافـــرت فى شخص ما الدرايـــة بالكمبيوتر ، والفرصة الكافية لإبدال المعادلات .. أليس كذلك ؟

قال (نور) وقد تركّزت أفكاره كلها فى هذه النقطة :

ــ بلى ، ولكن ما الذى دفعك إلى تذكُّر هذا الحوار الآن بالذات ؟

قال الدكتور (فوزى) بهدوء :

ــ لقد تذكّرت الآن الشخص الوحيد الذى كان

باستطاعته إبدال برنامج الكمبيوتر .. الشخص الوحيد الذى يمتلك الدراية الكافية لإبدال المعادلة المطلوبة ببساطة ، والذى كان يعلم كل البرامج بحكم مركزه .

ظهرت الدهشة على وجه (نور) وهو يقول :

ــ هل تقصد ؟ ...

قاطعه الدكتور (فوزى) قائلاً :

ــ إنه هو بلا شك ، وهو الوحيد الذى كان بإمكانه الاقتراب من البرنامج دون أن تتجه إليه الشبهات ، ودون أن يجرؤ أحد على سؤاله عما يفعل .

قال (نور) بلهجة متشكّكة :

ــ دكتور (فوزى) هل تعلم أنك تتهم ...

قاطعه الدكتور (فوزى) بعناد :

ــ إننى أتحدث بالمنطق فقط أيها الشاب ، ولا تهمنى شخصية المتهم .. نعم ، الوحيد الذى كان بإمكانـــه ذلك هـــو المـــدير ... الدكتور (شوقى عبد الحافظ) .

* * *

٦ ــ الخطأ ..

قفز الدكتور (شوق) من مقعده صارخا :

ــ هل تتهمنى أيها الشاب ؟ وهل تعلم من أنا ؟ أنا الدكتور (شوق عبد الحافظ) ، الحاصل على جائزة حورس العلمية ، وجائزة نوبل ، والذى يرجّ اسمى الأوساط العلمية فى العالم أجمع .. تأتى أنت وتتهمنى بالخيانة ؟! تتهمنى بمحاولة تدمير قاعدة أرابيها ؟! أنت مجنون أيها النقيب .. مجنون .. مجنون وأحمق أيضا .

ابتلع النقيب (نور) هذه الإهانات ، وحاول أن يظل هادئًا وهو يقول :

ــ إن سؤالى لك عن مكان تواجدك قبل إطلاق المقاتلة تمامًا . لا يعنى اتهامك يا سيدى ولكن ....

قاطعه الدكتور (شوق) غاضبًا :

ــ ولكن ماذا أيها النقيب ؟ إن لهجتك تعنى تمامًا أنك تتهمنى .. هل تظن أن رتبتك تحميك هنا؟ هل



نسيت أنني أحمل رتبة لواء أنا الآخر ؟ أم أن علىَّ أن أذكّرك بذلك ؟

كانت نبرات (نور) باردة جافة وهو يقول :

ـــ هذا لا يمنعك من إجابة سؤالى يا سيّدى ، ثم إن المرتب العسكرية لا دخل لها إطلاقا فيما نبحث عنه .. ويؤسفني أن أضطر إلى تذكيرك بأنى لا أتلقّى أوامرى إلا من القائد الأعلى شخصيًّا .

ساد الصمت قليلا ، ثم قال الدكتور (شوق) بنبرة غاضبة :

ـــ ماذا تريد بالضبط أيها النقيب ؟

قال (نور) بهدوء :

ـــ أريد أن أعلم أين كنت بالضبط قبل الإطلاق مباشرة يا سيّدى ؟

اعتدل الدكتور (شوق) فى مقعده ، وقال بلهجة جافّة :

ـــ فى مركز الإطلاق أيها النقيب ، قبل الإطلاق



قفز الدكتور (شوق) من مقعده صارخا ..

بساعة كاملة وحتى تدمير المقاتلة .. لم أغادر المركز لحظة واحدة . وكنت أقف أمام العاملين بالمركز كلهم أيها النقيب .

ثم ضرب المكتب بقبضته غاضبًا وهو يقول :

ـ كان يجب أن تتحرى أيها النقيب قبل أن تأتى إلى مكتبى . وتوجه لى الاتهامات .. كان يجب أن تسير بخطوات سليمة .

كانت الإجابة صدمة لـ (نور) . فأغلق عينيه . ولم يجرؤ على التفوه بكلمة واحدة .. وبعد لحظة من الصمت تمتم بحرج :

ـ لست أدرى كيف أعتذر يا سيدى ؟ لقد أخطأت .. كان ينبغى أن أتحرى أولاً .. لقد قاد أحدهم تفكيرى إلى ذلك دون أن أشعر . وهذه هى أول مرة أقع فيها فى هذا الخطأ المخجل .. إننى أعتذر يا سيدى ، أعتذر بشدة .

رفع الدكتور (شوقى) رأسه ، وأخذ يتأمل (نور)

الذى يقف وقفة عسكرية ثابتة ، وقد تخضب وجهه بحمرة الخجل .

لانت ملامح الدكتور (شوقى) وابتسم قائلاً :

ـ أنت شجاع أيها النقيب ، وشجاعتك تتمثل فى قدرتك على الاعتذار عندما تكون مخطئًا .. كثير ممن يدعون الشجاعة لا يمتلكون هذه المقدرة . وإنما يبدلونها بالعناد الغبى .. حسنًا ، سنمحو الساعة الماضية من ذاكرتنا وكأنها لم تكن .

ابتسم (نور) وقال :

ـ أنت أيضًا شجاع يا سيدى .. قليلون هم من يمتلكون القدرة على المغفرة .

ربت الدكتور (شوقى) على كتف (نور) وهو يبتسم بحنان .. وبعد فترة من الصمت قال (نور) :

ـ عندى طلب آخر يا سيدى .

أشار إليه الدكتور (شوقى) أن يتكلم فقال :

ـ لدىَّ خطة ربما تؤدى إلى إيقاع الخائن ، ولكنها

تحتاج إلى بعض الجهود والإمكانات المادية .

استمع إليه الدكتور (شوق) ، وهو يسرد الخطة التى وضعها (رمزى) .. وما أن انتهى (نور) من شرح تفاصيل الخطة حتى خيّم الصمت على جوّ الغرفة ، إلى أن قطعه الدكتور (شوق) قائلاً :

ــ هذه الخطة ستكلفنا مليونا من الجنيهات أيها النقيب .. فهل تعتقد أنها ستعود بفائدة تساوى تكلفتها ؟

تردّد (نور) قبل أن يقول :

ــ لا أستطيع الجزم بذلك يا سيدى ، ولكن النتيجة المرجوّة تساوى هذا المبلغ وتزيد .

أخذ الدكتور (شوق) يعبث ببعض أوراق على مكتبه فترة طويلة قبل أن يقول :

ــ حسنًا أيها النقيب ، سأوافق على خطتك ، وسأتحمل النتائج .

ابتسم (نور) وقال بإعجاب :

ــ أنت حقًا شجاع يا سيدى ، ويسعدنى أن أتعامل معك .

بادله (شوق) الابتسام وقال :

ــ وأنا أيضًا يسعدنى التعامل معك أيها النقيب .

فى هذه الأثناء كانت (سلوى) تجول فى القاعدة بصحبة (رمزى) ، وسألته وهى تتأمل المكان حولها :

ــ لماذا يا تُرى أطلقوا على هذه القاعدة اسم (وكر النسور) ؟

ابتسم (رمزى) وقال :

ــ لأنها تضم أعظم علماء الطيران والفضاء يا عزيزتى .. كما تضم أبرع طيارى مصر ، وأحدث الطائرات والمقاتلات .

ابتسمت (سلوى) وقالت :

ــ كان من المفروض أن أستنتج ذلك ببساطة .. وعلى كلٍّ ، لكل جواد كبوة .

ثم سألته باهتمام :

ـ هل تعتقد أن (نور) سيصل إلى شىء ما مع الدكتور (شوقى) ؟

هزّ (رمزى) كتفيه وقال :

ـ لست أدرى ، ولكننى لا أعتقد أن رجلًا مثل الدكتور (شوقى) يمكنه أن يرتكب هذه الفعْلة الشنعاء .. وهذا رأى خبير فى الطب النفسى ، وليس رأى شخصى .

قاطعته (سلوى) وهى تشير إلى رجل قصير ، يسير بخطوات متسللة إلى داخل غرفة التحكُّم الآلى :

ـ أليس هذا هو الدكتور (أحمد صبرى) ؟ ماذا يفعل فى غرفة التحكُّم يا تُرَى ؟

قطَّب (رمزى) حاجبيه وقال :

ـ هذا أمر مثير للانتباه .. ما رأيك لو لحقنا به هناك ؟

ودون أن تجيب اتجهت إلى غرفة التحكُّم الآلى .. وقبل أن يدخلا سمعا الدكتور (أحمد) يقول لـ (عصمت) :

ـ هذا الخطأ لا يمكن التغاضى عنه يا (عصمت) .

أجابه (عصمت) بارتباك :

ـ لست أفهم كيف حدث هذا يا سيّدى .. أقسم لك ..

قاطعتهما (سلوى) قائلة :

ـ ما هذا الخطأ يا دكتور (أحمد) ؟

التفت إليها الاثنان بدهشة ، ثم تبدلت ملامح الدكتور (أحمد) إلى المرح بسرعة ، وقال :

ـ كنت أتحدث مع (عصمت) عن الخلل الذى أصاب أجهزة التحكُّم الآلى ، وكيف أنه لم يبلّغ الأمر إلى المسئولين ، لاتخاذ اللازم لمنع تكرار هذا العطل .

قال (رمزى) بلهجة متشكّكة :

ـ فقط ؟

ضحك الدكتور (أحمد) وهو يقول :

ـ بالطبع ، لا تجعل خيالك الخصب يقودك إلى

تفسيرات خاطئة أيها الشاب .. عذرًا ، لا بد أن أعود إلى غرفتى ، فأمامى عمل كثير أود الانتهاء منه .

وما أن غادر الغرفة حتى قال (رمزى) :

ـــ هذا الرجل إما أنه ديبلوماسى جدًا ، أو ناعم كالأفعى .

قالت (سلوى) وهى تقطّب حاجبيها :

ـــ إننى أميل إلى التفسير الثانى يا (رمزى) .

ثم التفتت إلى (عصمت) وسألته :

ـــ هل ما يقوله الدكتور (أحمد) صحيح ؟

أشار بيده وقال :

ـــ بالطبع ، لقد اقتحم الغرفة بغتة ، وكأنه يريد ضبطى متلبسًا .. لماذا يصرّ الجميع على اعتبارى المشتبه فيه رقم واحد ؟

أهمل الاثنان إجابة سؤاله ، وخرجا من غرفة التحكّم بصمت .. وفى الخارج سألت (سلوى) :

ـــ أينَ (محمود) يا تُرَى ؟

أجابها (رمزى) :

ـــ لقد ذهب إلى غرفة الدكتور (عادل عطية) ، يريد مراقبته وهو يضع برنامج الكمبيوتر .

فى نفس اللحظة كان (محمود) يفتح باب غرفة الدكتور (عادل) .. وما أن عبر إلى داخل الغرفة حتى تسمّر فى مكانه .. كان هناك كرة حمراء معلقة فى الهواء ، وصاروخ صغير ينطلق نحوها .. تراجع (محمود) إلى الخلف عندما أصاب الصاروخ الكرة فانفجرت بصوت آلى .. اختفت دهشة (محمود) فى الحال ، وضحك وهو يقول :

ـــ إذن ، فأنت تهوى ألعاب الفيديو المجسّمة يا دكتور .

ابتسم الدكتور (عادل) بخجل ، وقال :

ـــ إنها مجرد تسلية عندما أملُّ العمل أمام الكمبيوتر .

ضحك (محمود) وقال :

ـــ لا داعى للخجل يا دكتور ، فأنا واحد من المغرمين بألعاب الفيديو المجسّمة ، ربما لأنها تعتمد على أشعة الليزر ، وأنا مغرم دائمًا بكل استخدامات الأشعة .

أشار الدكتور (عادل) إلى مقعد قريب وهو يقول :

ـــ سنصبح أصدقاء إذن .

ثم اعتدل فى مقعده وخلع نظارته ، وقال وهو يتأمل وجه (محمود) :

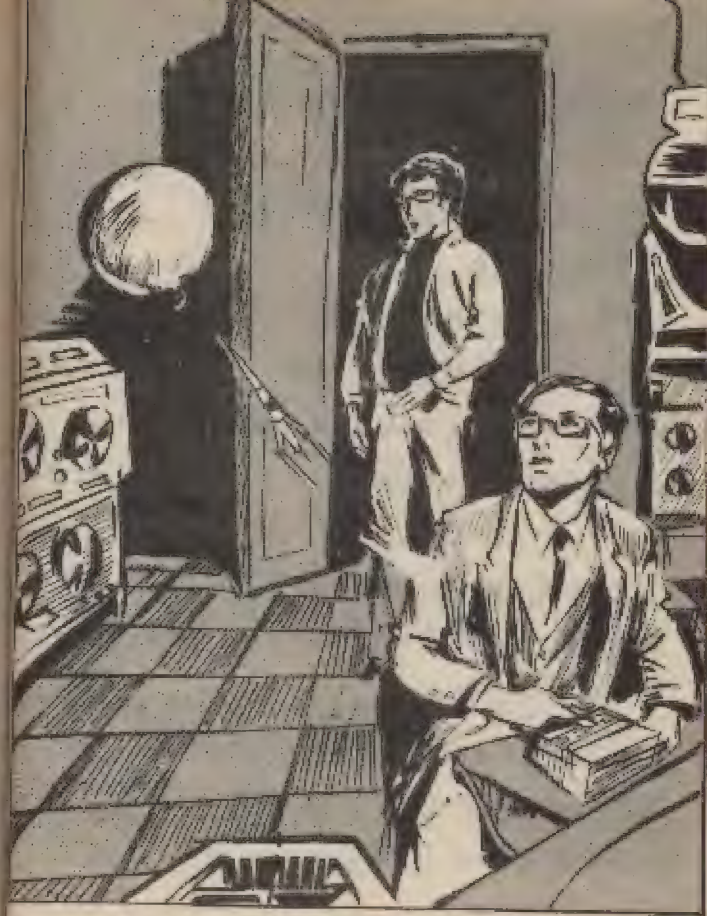
ـــ أخبرنى بصدق أيها الشاب .. هل حضرت إلى هنا لاستجوابى ؟

هزّ (محمود) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ أبدًا يا سيّدى ، وإنما وددت مراقبتك وأنت تضع برنامج الكمبيوتر .

ابتسم الدكتور (عادل) وقال :

ـــ فى هذه الحالة يسعدنى استقبالك فى غرفتى .



فى نفس اللحظة كان (محمود) يفتح باب غرفة الدكتور (عادل)

بعد حوالى ساعة ، وعندما عاد (محمود) إلى غرفة الفريق وجد الجميع هناك .. كان (نور) يتحدث إلى الدكتور (شوقى) عبر جهاز التليفيديو ، على حين جلس (رمزى) يتحدث إلى (سلوى) باهتمام .. حيَّاهم (محمود) وجلس على مقعد قريب .. وما أن انتهى (نور) من مكالمته حتى التفت إلى رفاقه ، وقال :

ـ يبدو أن الخطة التى وضعها (رمزى) تحتاج إلى تعديل جذرى يا رفاق .. لقد لاحظ الدكتور (شوقى) ما غاب عن أذهاننا جميعًا .

التفت إليه الجميع والتساؤل يبدو واضحًا على وجوههم ، فقال وهو يبعد بصره عنهم :

ـ لقد لاحظ أنه من المستحيل تبيُّن ما سيحدثه الخائن فى حالة تظاهرنا بإصابة الطائرة الجديدة بالجنون ؛ لأنه من المستحيل أن يجتمع كل المشتبه فيهم فى مكان واحد ، نظرًا لظروف عملهم ومراكزهم

الحيوية فى أثناء الإطلاق ، والتى تجعل كلًّا منهم منعزلًا عن الآخرين .

ثم أغمض عينيه ، وقال :

ـ لست أدرى لماذا أرتكب العديد من الأخطاء هذه المرة ؟ . كيف لم أتنبَّه إلى هذه النقطة ؟

شعرت (سلوى) بالحزن يعتصر قلبها وهى ترى (نور) فى هذه الحالة ، على حين قال (رمزى) بلهجة حنون :

ـ لو أنك نظرت فى المرآة لعلمت السبب أيها القائد .. إن وجهك تبدو عليه علامات الإرهاق بشكل واضح .. أنت تحتاج إلى الراحة .. لقد أرهقتك تلك المهام المتوالية ، التى يسندها إليك القائد الأعلى .. لا بد أن تحصل على قدر من الراحة ، خذها نصيحة من طبيب .

تجاهل (نور) نصيحة زميله ، وقال :

ـ حسنًا ، سنجرى تعديلًا فى الخطة .. سنجمعهم كلهم فى مكان واحد ، ثم ....

قاطعه (رمزى) قائلاً :

ـــ أنت تحتاج إلى قدر كافٍ من النوم أيها القائد .

صدقنى هذا أفضل .. سنضع الخطة فور استيقاظك .

ودون أن يتفوَّه بكلمة أومأ (نور) برأسه علامة الإيجاب ، وغادر الغرفة .

التفت (رمزى) إلى زميليه وقال :

ـــ أخشى على النقيب (نور) يا رفاق .. فلو أنه فشل فى هذه المهمة فلن يسامح نفسه أبدًا .

* * *



٧ ـــ مفاجأة نور ..

قال (رمزى) وهو يسند ذقنه إلى يده :

ـــ هل تقول إنك رأيت الدكتور (عادل عطية) يلهو بلعبة الحرب ؟

ضحك (محمود) وقال :

ـــ نعم ، إنه يعشق ألعاب الفيديو المجسَّمة .

استند (رمزى) إلى مقعده ، وقال :

ـــ ولكنه يكره الحروب والدمار بحسب ادعائه .

صاحت (سلوى) :

ـــ هذا الرجل مخادع .. كيف يكره الحرب والدمار ، ويستمتع بلعبة حربية ؟

قال (رمزى) بعد تفكير عميق :

ـــ كثيرًا ما يكون ذلك نوعًا من إفراغ المشاعر ، بدلاً من الالتجاء إلى التدمير الفعلى .

قالت (سلوى) بعناد :

— لست أفهم هذه المصطلحات يا (رمزى) . ولكننى أشعر أن هذه النقطة لا بد أن يعلم بها (نور) .

قبل أن يجيبها (رمزى) فوجئ الجميع بـ (نور) يدلف إلى الغرفة ، ويتجه إلى آلة التليفيديو .

قال (رمزى) معترضًا :

— ما هذا أيها القائد ؟ ألم تتفق أنك بحاجة إلى بعض النوم ؟

ابتسم (نور) وهو يضغط أزرار الآلة ، ويقول :

— لقد حاولت يا عزيزى .. صدقنى .. ولكن عقلى رفض الاستجابة لجسدى .. فلقد ظل مستيقظًا على الرغم منى .

وقبل أن يعلق (رمزى) بكلمة واحدة ، كان (نور) يتحدث إلى الدكتور (فوزى) فى التليفيديو قائلًا :

— مرحبًا يا دكتور ، عندى خطة لكشف الخائن ، ولكنها تحتاج لمعاونة منك .

ابتسم الدكتور (فوزى) وقال :

— يسرنى أن أعاونك أيها النقيب .

أخذ (نور) يشرح فكرته للدكتور (فوزى) ، على حين التفت (رمزى) إلى (سلوى) ، وقال :

— هل تعلمين يا عزيزتى أن العالم القديم (نيوتن) ، كان يتوصل إلى حلول معادلات معقدة فى أثناء نومه ؟ وأن (نابليون) كان يضع الخطط الحربية المعقدة خلال نومه القصير ؟ . والعالم (هومر) الذى اخترع الملابس المانعة لتسرب الإشعاع صممها فى أثناء نومه . حتى أنه أطلق عليها اسم (حلم هومر البشع) .. وأن ....

قاطعته (سلوى) وهى تمط شفتيها قائلة :

— هؤلاء كلهم لا يعنوننى فى شىء يا (رمزى) ، وأنا أرى أن (نور) أكثر عبقرية منهم جميعًا .

ضحك (محمود) و (رمزى) ، على حين قطبت هى حاجبيها .. وقبل أن تنطق التفت (نور) ، الذى كان قد انتهى من محادثة الدكتور (فوزى) ، وقال :

ـــ هل رأيتم يا رفاق ؟ إن الخطة الجديدة هي تعديل لخطة (رمزى) ، بحيث نضمن تواجد الجميع فى مكان واحد ، عندما نفاجئهم بجنون آلة .. وبحسب تحليل (رمزى) ، فالخائن وحده لن يصدق هذا الادعاء .

ثم التفت إلى (سلوى) وقال :

ـــ ستقومين يا عزيزتى بدعوة كل من المهندس (عصمت) ، والمهندس (جلال) ، والمهندس (حمدى) إلى اجتماع خاص بغرفة الدكتور (شوقى) ، فى الثامنة من مساء اليوم .

ثم التفت إلى (رمزى) و (محمود) قائلاً :

ـــ وأنت يا (رمزى) ستقوم بدعوة الدكتور (عادل) ، والدكتور (صفوت) ، والدكتور (أحمد) .. أما أنت يا عزيزى (محمود) فستحضر بصحبة الدكتور (عمر) والدكتور (فوزى) .

قال (رمزى) وهو يتطلع إلى وجه (نور) :

ـــ ما زلت أصرّ على أنك تحتاج إلى الراحة أيها

القائد .. فعلامات الإرهاق الشديد تبدو واضحة على وجهك .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ سأنعم بالراحة الكافية يا عزيزى (رمزى) ، بعد أن يقع الخائن فى أيدى العدالة .

بعد حوالى ساعة ، وفى غرفة الدكتور (شوقى) كان (نور) يعد المكان ، على حين قال الدكتور (فوزى) :

ـــ هل تعتقد أن الرجل الذى يرتكب تلك الخيانة ، من الضعف النفسى بحيث تفضحه خدعة كهذه ؟

قال (نور) :

ـــ هذا ما أرجوه ياسيدى .

هزّ الدكتور (فوزى) كتفيه وقال :

ـــ أنا لا أعتقد ذلك .

ابتسم (نور) وقال :

ـــ فلنعتبرها تجربة إذن ، تجربة لاختبار قوة أعصاب الخائن .

وفى تمام الثامنة كان الجميع فى غرفة الدكتور (شوقى) ، وكان الصمت يخيم على الغرفة عندما قطعه الدكتور (عادل) قائلاً :

ـ هل سأضيع وقتى الثمين من أجل اجتماع سخيف كهذا ؟

قطّب الدكتور (شوقى) حاجبيه ، وقال :

ـ هذا ليس اجتماعًا سخيفًا يا دكتور .. سيصل النقيب (نور) بعد لحظات .

وقبل أن تكتمل العبارة ، كان (نور) يدخل إلى الحجرة ، فألقى التحية على الحاضرين ، فبادره الدكتور (أحمد صبرى) قائلاً :

ـ لعل دعوتنا إلى هذا الاجتماع من الأهمية ، بحيث تساوى الوقت الذى نضيعه .

ابتسم (نور) وقال :

ـ بالطبع ، سنتناول أولا مشروبًا خفيفًا ، ثم أخبركم بالسبب الذى دعوتكم من أجله .

ضغط (نور) على زرٍّ صغير كان أمام الدكتور (شوقى) ، فتحركت مائدة من وسط الغرفة ، وخرجت من وسطها صينية مملوءة بأكواب الشراب البارد .

قال (نور) وهو يشير إلى المائدة :

ـ هذا أحدث ابتكار للدكتور (فوزى) .. مائدة مزوّدة بالخلايا الحيوية ، يمكنها إطاعة الأوامر ، وتحديد درجة برودة السائل .

كان التساؤل والترقب واضحين على وجوه الجميع وهم يتناولون مشروبهم ، فابتسم لهم (نور) وقال وهو يعقد ساعديه :

ـ لقد جمعتكم هنا أيها السادة لأخبركم بشخصية الخائن .

التفت إليه الجميع بدهشة ، وساد الصمت التام .

* * *



٨ ــ من الخائن ؟.

قال الدكتور (عادل عطية) ، بعد فترة من الصمت :

ــ هل تدعى أيها النقيب أنك توصلت إلى كشف الخائن ؟

التفت إليه (نور) مبتسمًا ، وقال :

ــ ستعرف كل شيء قريبا يا دكتور ، ولكن دعنا نبدأ من البداية .. منذ وصول فريقنا إلى القاعدة ، كنا نبحث عن أبدل معادلة الكمبيوتر ، ولكن كان من الواضح أن الطائرة (ط ــ ٧) قد خالفت الأوامر فى نقطتين : أولهما : اتجاه خط السير ، وثانيهما : القتال بدلًا من التدمير الذاتى .. وبعد التحريات علمنا أن الدكتور (عادل عطية) يضع برنامج خط السير ، على حين يضع الدكتور (أحمد صبرى) برنامج القتال .

حاول العالمان الاعتراض . ولكن (نور) أسكتهما بإشارة من يده ، وهو يواصل حديثه قائلاً :

ــ وبناء على ذلك كان لا بد أن يشترك كلاهما فى هذه الخيانة ، فيقوم أولهما بإبدال معادلة خط السير ، كما يقوم الثانى بإبدال معادلة القتال .

قفز الدكتور (أحمد) من مقعده وهو يصيح :

ــ هل تتهمنا أيها النقيب ؟

نظر إليه (نور) بنظرة حازمة ، وقال بلهجة جافة :

ــ لحظة يا سيدى ، حتى أنتهى ممّا أقول .

جلس الدكتور (أحمد) وهو يفرك أصابعه ضيقًا ، فتابع (نور) قوله :

ــ ولما كان اختيار العلماء قد تم بدقة بالغة ، فقد كان من الصعب أن نتصوّر وجود خائنين فى وقت واحد ؛ ولهذا عدنا إلى التفكير مرة أخرى ، فوجدنا أمامنا الدكتور (صفوت عبيد) .. إنه يضع برنامج الجمع الرئيسى ؛ ولهذا كان من السهل عليه أن يبدّل

معادلة واحدة فى برنامج الجمع الرئيسى .

قطّب الدكتور (صفوت) حاجبيه ، وقال :

ــ هذا تفكير غبىّ .

ابتلع (نور) الإهانة ، واستطرد قائلاً :

ــ ولكننى تذكّرت عبارة أخبرنى بها الدكتور (فوزى) ، عندما قال إنه كثيرًا ما يكتشف أن المعادلة الأوّلية التى بدأ بها برنامجه معادلة خاطئة . وهنا يصبح البرنامج كله خطأ .. وتنبّهت حينئذ إلى أننا نبحث من طريق خاطئ . عندما نفترض أن أحدهم أبدل إحدى معادلات الكمبيوتر .. لقد تبيّنت فجأة أن هذا الافتراض خاطئ من أساسه وهنا ....

توقّف (نور) عن متابعة حديثه ، وظهرت على وجهه علامات الفزع ، وهو يشير إلى ما خلف الجالسين صائحًا :

ــ يا إلهى !! لقد أصيبت المائدة بالجنون . تمامًا مثلما حدث للطائرة .



قفز الجميع متحاشين هذه المائدة المجنونة . وقد تملكهم الذهول والدهشة .

التفت الجميع إلى المائدة الآلية التي كانت تتحرك بشكل عصبيّ ، وتلقي بأكواب فارغة على أرضية الغرفة ، ثم تتجه نحو المقاعد وتصطدم بها بعنف .. فقفز الجميع متحاشين هذه المائدة المجنونة ، وقد تملّكهم جميعًا الذهول والدهشة ، عدا واحدًا صاح بلهجة متشككة :

ــ هذا مستحيل .. مستحيل .. الآلات لا تصاب بالجنون .

وفجأة توقفت المائدة ، واستمع الجميع إلى صوت النقيب (نور) ، وهو يقول :

ــ لقد أوقعت بنفسك يا صديقي .

التفت الجميع إلى حيث يقف (نور) ، وقد عقد ساعديه ، وبدت على شفتيه ابتسامة .. وقال الرجل الذي نطق بالعبارة :

ــ ما هذا أيها النقيب ؟ هل انتقلت إليك عدوى الجنون ؟

ابتسم (نور) ابتسامة ساخرة ، وقال :

ــ لقد اتفقنا منذ قليل أن الآلات لا تصاب بالجنون .. أليس هذا رأيك يا عزيزى (عصمت) ؟

امتقع وجه (عصمت) ، وقال :

ــ ما هذا الأسلوب السخيف ؟ ماذا تقصد بذلك ؟

ارتكن (نور) على مكتب الدكتور (شوقى) ، وقال بهدوء :

ــ لقد تكرّر اتهام غرفة التحكّم يا صديقى ، عندما انحرفت الطائرة عن مسارها .. ظنّ الجميع للوهلة الأولى أن غرفة التحكّم أخطأت . أو أن أجهزتها قد أصيبت بالخلل لثانى مرة .. وهذا ما كنت تقصده عند إحداثك العطل الأول .. أليس كذلك ؟

هزّ (عصمت) رأسه نفيًا بقوة ، وصاح :

ــ خطأ .. خطأ .

ابتسم (نور) وقال :

ــ لقد أفسدت عمدًا أجهزة التحكّم قبل إطلاق الطائرة بعشر ساعات . وكان من الطبيعى أن يظن الجميع أنها أصيبت بالعطل مرة ثانية عندما تخالف الطائرة الأوامر .. وعند الإطلاق كنت وحدك فى غرفة التحكّم الآلى ، وكان فى إمكانك الضغط على زرّ مخالف يؤدى إلى انحراف مسار الطائرة ، ثم تضغط زرّ القتال بدلًا من ذلك الخاص بالتدمير الذاتى .. وتستطيع أن تقسم بعد ذلك أنك ضغطت على الأزرار الصحيحة ، ولن يستطيع أحد تكذيبك .. وهكذا كنا نبحث منذ البداية عن خطأ فى برنامج الكمبيوتر ، ولم نتصوّر أبدًا أن البرنامج سليم ، ولكن التوجيه هو الخطئ .

أخذ (عصمت) يدقّ على المقعد بقوة وعصبية ، وهو يصيح :

ــ هذا خطأ .. خطأ .

تجاهله (نور) ، وقال :

— ولقد توصل الدكتور (أحمد صبرى) إلى نفس التفسير ، وواجه به (عصمت) فنفاه تماما ، وهذا طبيعى .. ولكن الدكتور (أحمد) لم يقنع بذلك ، وأخذ يراقب (عصمت) خلسة .. أليس هذا صحيحا يا دكتور (أحمد) ؟

ابتسم الدكتور (أحمد) ، وقال بإعجاب :

— صحيح تماما أيها النقيب .. عندما فاجأنى رفاقك كنت أحاول الضغط على (عصمت) ليعترف ، ولكنى لم أشأ أن تعلم الشرطة بذلك ، قبل أن أحصل على الدليل .

أشار (نور) إلى المائدة ، وقال :

— لقد أعطانا الخائن هذا الدليل بنفسه عند رؤيته لجنون المائدة .. فهو يعلم جيدًا أن الآلات لا تصاب بالجنون ، برغم أنه صرح لرفيقى (محمود) . بأنه يظن أن الطائرة قد أصيبت بالجنون .

صاح (عصمت) :

— ولكننى بعد تفكير اقتنعت أن الآلات لا تصاب بالجنون ، وهذا هو سبب استنكارى للجنون الذى أصاب المائدة .. صدقونى أنا برىء .. برىء .

كان (رمزى) يقف صامتا يتأمل الموقف كله وقد قطّب حاجبيه ، على حين أخذت (سلوى) تتابع حوار (نور) مع (عصمت) .. وابتسم (محمود) إعجابا بعبقرية قائده ، وسمعه يقول :

— لماذا فعلت ذلك أيها المهندس (عصمت) ؟ لقد كان لك مستقبل لامع هنا فى (وكر النسور) .

انهمر الدمع فى عينى (عصمت) ، وهو يقول بانكسار :

— أنا برىء .. أقسم لكم . هذا خطأ .

قال الدكتور (شوقى) بحزم ، وهو يضغط على زر أحمر أمامه :

— يمكنك أن تواصل هذا الادعاء فى مكتب النائب العام .

وبعد لحظات كان رجال الأمن يقودون (عصمت) إلى الخارج وهو منهار .

التفت (حمدى) إلى (نور) وسأله :

ـــ كيف توصلت إلى هذا الحل ؟ إنك بالبساطة التى تسرد بها الحل تجعلنا نشعر بالغباء ؛ لأن أحدا منا لم يفكر فى ذلك .

ابتسم (نور) وهو يلتقط كوبه المملوء بالشراب المثلج ، ويقول :

ـــ الأمر يحتاج فقط إلى ترتيب المعلومات .. لو أنك نجحت فى ترتيب كل معلوماتك ، لوجدت أن الأمور تسير بمنطقية وسلاسة .. وأنا من الذين يعتقدون أن الأمور مهما بدت معقدة وغامضة ، فلابد أنها تتبع المنطق . ولو أنك سرت وراء هذا المنطق ، لتوصلت فى النهاية إلى الحل الصحيح .. وفى قضايا الخيانة هذه تبدو الأمور غامضة فى البداية ، وما أن تمسك بأول الخيط حتى تجد الحل يقفز إلى يديك وذهنك ، على حين

يجلس الخائن مطمئنًا إلى أنه فى مأمن من ....

وفجأة توقف (نور) عن الحديث ، وظهرت على وجهه علامات الفزع ، ثم ترنح واستند إلى مكتب الدكتور (شوقى) ، ووضع إحدى يديه على عينيه ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !! كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟ يا له من خطأ هذا الذى ارتكبته !! لقد كدت ... يا إلهى !!

ثم أشار إلى (محمود) ، وقال :

ـــ أسرع يا (محمود) ، أحضر (عصمت) .. لقد كنت مخطئا ، إنه ليس الخائن الحقيقى .. أسرع بالله عليك .

* * *



وفجأة توقف (نور) عن الحديث ، وظهرت على وجهه علامات الفزع .

٩ ــ سقوط الخائن ..

بينما اندفع (محمود) للحاق برجال الأمن ، جلس (نور) على مقعد قريب وهو يتمتم :

ــ يا للهول !! لن أعمل مرة ثانية وأنا مرهق أبدا .

أسرعت (سلوى) إليه بجزع ، وسألته وهي تربت على كتفه بحنان :

ــ (نور) ، ماذا بك ؟ لم يحدث أن رأيتك في مثل هذه الحال مطلقًا .

قال (نور) بصوت آسف :

ــ لقد كدت أودى بحياة برىء يا (سلوى) .. هل تعلمين عقوبة الخيانة ؟ إنها الإعدام .. وكنت سأرسل بريئًا إلى حبل المشنقة .

ابتسم (رمزى) ، وقال :

ــ كدت أن أقسم أنه برىء .. كانت انفعالاته النفسية صادقة ، وهو يصرخ بذلك .

صاح الدكتور (شوقى) غاضبًا :

ـ ما معنى هذا أيها النقيب ؟ هل فشلت خطتك ؟ من الخائن إذن ؟

رفع (نور) رأسه وقال :

ـ لقد كنت محقًا فى جزء من استنتاجى يا سيّدى ، وهو الجزء الخاص بأن الخطأ لم يكن فى برنامج الكمبيوتر ، ولكننى نسيت نقطة هامة جدًّا .

مدّ أحد الحاضرين يده إلى جيبه يتحسّس مسدس الليزر الذى يحمله ، على حين تابع (نور) قائلًا :

ـ عندما عادت المقاتلة لتهاجم القاعدة ، كان من الممكن أن تدمّرها عن آخرها ، وخاصة أنها تحمل مدفعين لأشعة لـ (أشعة م) ، وصاروخين من قذائف (جاما) .. وهذا يعنى أنها ستدمّر أيضًا المبنى الذى يضم غرف العلماء ، وكذا مركز الإطلاق وغرفة المراقبة .. ولو أن أحد الموجودين فى هذه المراكز كان هو الخائن ، لتحوّل الأمر إلى ما يشبه الانتحار ،

فالمقاتلة ستدمّره هو الآخر .. ولهذا كان لا بد أن يكون الخائن هو الشخص الوحيد الذى يجلس فى مأمن من كل ذلك .

ثم أشار إلى أحد الحاضرين وهو يقول :

ـ إنه أنت أيها الرجل .. أنت الوحيد الذى كان فى مأمن من الهجوم ، وأنت تجلس فى الطابق المجهّز لتحمّل أشد أنواع الهجوم .. لقد أفسدت أجهزة التهوية بها عمدًا لتضمن تواجدك فيها فى أثناء الهجوم ، كما فعلت فى أجهزة التحكّم الآلى .

هزّ (جمال) رأسه ، وقال :

ـ هذا خيال خصب أيها النقيب .. وكيف أصيبت الطائرة بالجنون ؟ إذا كنت أنا الخائن ؟

ابتسم (نور) وقال :

ـ الآلات لا تصاب بالجنون أيها المهندس (جمال) ، ولكن آلة التحكّم الآلى يمكن العبث فى دوائرها .

قال (جمال) بهدوء :

ـ أنت مجنون .

استطرد (نور) متجاهلاً ذلك :

ـ لقد أفسدت أجهزة التحكم . وعندما ذهبت لإصلاحها أبدلت الأسلاك .. فكرة بسيطة وفعالة .. عندما يضغط (عصمت) على زرّ المسار ، تسرى الإشارة فى أسلاك زرّ الانحراف . فتنحرف الطائرة عن مسارها . وعندما يضغط على زرّ التدمير الذاتى ، تتلقى الطائرة إشارة القتال .. ويقسم (عصمت) أنه ضغط الأزرار السليمة ، وهو محق ؛ لأنه لا يعلم أن الأزرار سليمة ، ولكن الإشارات التى تطلقها ليست هى المطلوبة .

ضحك (جمال) ببرود ، وقال :

ـ إذن هيّا بنا نفحص أجهزة التحكُّم ، وستجد أننى برىء .

ابتسم (نور) ساخرا ، وقال :

ـ إنها سليمة بالطبع .. لقد تظاهرت بفحصك الأجهزة بعد حادث الطائرة ، وأعدت الأسلاك إلى أماكنها السليمة .. لن يفوتك شىء كهذا بالطبع .

أشاح (جمال) بذراعيه غاضبًا ، وقال :

ـ إذن كيف تثبت ما تقول ؟ ليس لديك دليل واحد .. مجرد استنتاجات .

قال (نور) بهدوء :

ـ أوراقك يا سيّد (جمال) .. لقد التحقت بالعمل هنا منذ سبعة شهور فقط ، وسنجد أوراقك مزوّرة بالتأكيد .

ابتسم (جمال) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـ أنت ذكى جدًا أيها النقيب .. فعلا الأوراق مزوّرة .

وقبل أن ينتبه أحدهم لما يحدث ، أخرج (جمال) من جيبه مسدس ليزر ، وصوّبه إلى الحاضرين وهو يقول ساخرًا :

ـ يسعدنى أن أقدم نفسى أيها السادة .. (يوسف موشى) ، ضابط مخابرات من الفئة الأولى ، ولكن ليس فى دولتكم هذه ، وإنما فى دولة من أعظم الدول تفوقًا فى مجال المخابرات .. يكفى أننا قد خدعنا أجهزة التحقق من الشخصية هنا ..

ثم هزّ كتفيه بلا مبالاة ، وقال :

ـ ويؤسفنى أن أضطر لقتلكم جميعًا .. فالنقيب (نور) لم يترك لى حلًا بديلًا .

ضمّ (نور) كفيه ، وقال بلا اهتمام :

ـ وكيف ستغادر القاعدة بعد أن تتخلص منا جميعًا ؟ هل نسيت رجال الأمن الذين ذهب (محمود) لإعادتهم ؟

ابتسم (يوسف موشى) ساخرًا ، وقال :

ـ يسعدنى أنك ذكّرتنى بذلك .. لقد كدت أنساه .

ثم التفت إلى (سلوى) قائلًا :

ـ أغلقى باب الغرفة أيتها الجميلة بالرتاج الإليكترونى ، وأضيئى المصباح الأحمر .. فمدير القاعدة فى اجتماع هام .

ضحك (نور) وقال :

ـ هل تعتقد أن (محمود) سيصدق ذلك .

نظر إليه (يوسف موشى) بخبث وقال :

ـ إنك تحاول إضاعة الوقت أيها النقيب ، ولن تفلح فى ذلك .

ألقى (نور) نظرة لا مبالية إلى ما خلف (يوسف) ، وقال بلا اهتمام :

ـ حسنًا ، احذر .. المائدة قد عادت إلى جنونها ، وربما تصطدم بك .

ضحك (يوسف) بقوة ، وقال :

ـ لقد بطل استخدام هذه الخدعة الساذجة منذ أوائل القرن العشرين أيها النقيب .. هل هذا أحدث ما تعلّمته فى مخابراتكم الـ ...



قفز (نور) برشاقة ليصيب مسدس الليزر ، ثم يوجه قبضته إلى فك (يوسف) ..

ولدهشته اصطدمت به المائدة فعلًا ، وفى نفس اللحظة وفى أثناء ترنحه ، قفز (نور) برشاقة ليصيب مسدس الليزر بقدمه اليمنى ، ثم يوجّه قبضته اليسرى إلى فك (يوسف) الذى ترنح للخلف ، ثم اعتدل ومسح خط الدماء الذى يسيل من طرف شفتيه ، وقال :

ـ احترس أيها النقيب ، إننا نتعلم وسائل القتال الحديثة بالأيدى العادية فى مخابراتنا .

ابتسم (نور) وقال بلا مبالاة ، وهو يركل مسدس الليزر إلى طرف الحجرة :

ـ مصادفة عجيبة .. مخابراتنا تفعل الشىء نفسه .. تصوَّر .

قطَّب (يوسف) حاجبيه وزمَّ شفتيه ، ثم باعد بين ساقيه ، ووضع قبضتيه فى وضع القتال أمام وجهه ، وقال :

ـ للمرة الثانية أحذرك أيها النقيب .. أنا حاصل على الحزام الأسود المتقدِّم .

ابتسم (نور) وهو يتخذ وضع القتال قائلا :

ــ مصادفة أخرى . أنا أيضًا حاصل على الحزام الأسود المتقدّم .

تمتم (يوسف) غاضبًا :

ــ أيها المغرور . سترى ماذا يصيبك على يد (يوسف موشى) .

ابتعد الحاضرون جميعًا إلى أطراف الغرفة ، على حين قفز (يوسف) كالفهد ، موجهًا قبضته اليمنى إلى فك (نور) .. تلقاها (نور) على ساعده الأيسر ، ثم وجه عدة ضربات سريعة متتالية قوية بقبضته اليمنى إلى وجه (يوسف) ، الذى ترنح وحاول استعادة توازنه . حين أصابته لكمة أخرى فى بطنه . وركلة فى وجهه .. وسقط الرجل على ظهره ، وفتح عينيه الزائغتين ليشاهد (نور) شامخًا كالعملاق ، وهو يقول بلهجة ساخرة :

ــ للأسف يا صديقى .. لقد سقطت مخابراتكم فى الجولة الأولى .. لعلك تقتنع الآن أن مخابراتنا هى الأقوى .

كانت (سلوى) فى هذه اللحظة تفتح الباب لرجال الأمن . وبصحبتهم (عصمت) و (محمود) .

أخذت (سلوى) تفسّر لهم ما حدث ، ورفع (عصمت) وجهه إلى السماء وصاح بسعادة :

ــ حمدًا لله ..

وبينما كان رجال الأمن يصطحبون (يوسف) إلى الخارج ، اتجه (نور) إلى (عصمت) ، ووضع يده على كتفه قائلا :

ــ اقبل اعتذارى أيها الصديق . لقد كدت أرسلك إلى حتفك .

هزّ (عصمت) رأسه ، وقال :

ــ لست أدرى ماذا أقول ؟ لقد أنقذت حياتى أيضًا عندما كشفت الخائن الحقيقى ، ويجب أن أشكرك .

قطع حوارهما صياح أحد رجال الأمن .. أسرع (نور) إلى الخارج ، فوجد (يوسف) ملقى على الأرض .. أسرع يرفع رأسه ، فقال (يوسف) وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة :

ـ شيئًا آخر تعلمناه فى مخابراتنا أيها المصرى .. إن وقوعنا أحياء فى أيدى العدوّ أمر بالغ الخطورة .. وداعًا .

لفظ (يوسف) أنفاسه بين يدى (نور) ، الذى زمَّ شفتيه ، وقال :

ـ لقد انتحر .

ثم قام واقفًا ، وضم ساعديه وهو يقول :

ـ لم نخسر شيئًا بانتحاره .. لقد أُغلقت هذه القضية ، وستضم إلى القضايا التى نجحت فيها المخابرات العلمية المصرية .

* * *

٩ ـ الختام ..

ارتفع تصفيق الجمهور وصيحات الإعجاب . عندما أسدل الستار على الفصل الأخير من تلك المسرحية ، التى تُعرض على خشبة أحدث دور الأوبرا بنجاح منذ عشر سنوات .. والتفتت (سلوى) إلى (نور) الجالس بجوارها ، وقالت :

ـ ها قد شاهدت أخيرًا هذه المسرحية حتى نهايتها يا (نور) .

ابتسم (نور) وقال :

ـ إنها حقًا مسرحية رائعة ، وهى تعتمد على لغز ظريف .

قطَّبت (سلوى) حاجبيها ، وقالت :

ـ لا تقل لى إنك توصلت إلى حل اللغز فى هذه المسرحية قبل أن تشاهده .

ضحك (رمزى) وقال :

— أراهنك أنه قد فعل ..

ابتسم (محمود) ، وقال :

— أراهن على ذلك أنا أيضًا .

التفتت (سلوى) إلى (نور) ، وسألته باهتمام :

— (نور) ، اصدقنى القول .. هل فعلتها ؟

ابتسم (نور) وتنحنح قبل أن يقول :

— فى الواقع .. إحم .. مع نهاية الفصل الثانى .

قاطعته (سلوى) صائحة :

— هل هذه هى الإجازة التى منحك إيّاها القائد الأعلى لتستجم ؟ تشاهد مسرحية ، فتبحث عن حل ألغازها ؟

رفع (نور) كفّه متظاهرًا بحماية وجهه ، وهو يقول ضاحكًا :

— يحدث هذا بالرغم منّى يا عزيزتى .. صدقينى .

أشارت إليه بسبابتها ، وقالت :

— بالرغم منك ؟ هه !! اسمع أيها النقيب ..

سأعطيك نصيحة صادقة تختلف عن نصائح الأطباء .

التفت إليها (رمزى) باسمًا عندما تابعت قولها :

— إنك لا تصلح للراحة .. إن علاجك هو العمل .. العمل ..

أسكتها (نور) بإشارة من يده ، وهو يقول ضاحكًا :

— حسنًا يا عزيزتى ، ولكن لا داعى لأن يعرف الجميع طبيعة عملى .

صمتت (سلوى) فجأة ، وأخذت تتأمل المكان حولها ، ثم انفجرت ضاحكة ، وهى تشير إلى أنحاء المكان قائلة :

— لا تخش شيئًا أيها القائد .. لقد انصرف الجميع ، ولم يعد باقيًا سوانا .

التفت الثلاثة بدهشة يتطلعون إلى المسرح الخالى تمامًا من الجمهور ، ثم التقت نظراتهم ، وانفجروا بالضحك .

(تمت بحمد الله)